المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

الزندقة وأثرها على الإسلام

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير

للطالب

عبد الرحمن الصالح الخضير

إشراف

الدكتور/ جلال محمد موسى

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام

١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادى الى الصراط المستقيم محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وبشرى للمسلمين وعلى آله وصحبه وسلم وبعد

فان العقيدة الاسلامية التى ارسل الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم سهلة ميسرة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد توافق الفطر السليمة . والعقول الصحيحة تلقاها أصحابه صافية نقية كما نزلت . وسار على نهجهم السلف الصالح من الامة اقتفوا أثرهم . وسلكوا طريقهم من غير تبديل ولا تحريف ولكن أهل الأهواء تفرقت بهم أهواؤهم مذاهب شتى ابعدتهم عن الصراط المستقيم ، وأدخلتهم فى سبل ملتوية متباينة . بحسب كل فرقة . وبحسب قربها أو بعدها عن دين الله .

وقد قام علماء الأمة والثقات منهم بتوضيح وابانة الدين القويم - والصراط المستقيم وتمييزه عن الاهواء المنكوسة ، والاراء المعكوسة - ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيا عن بينة ومع هذا فان أهل الضلال ليسوا على بينة من أمرهم . بل ان بعضهم ضل ضلالا واضحا بجهله الطريق المستقيم . وقسم آخر ضل ضلالا بينا عن علم وعناد ومكابرة . ساقهم الى الاسلام دخول قومهم فيه . أو خوفهم على أنفسهم - أو رغبتهم في تحقيق مآربهم للنيل من هذا الدين القويم محاولين تعكير صفوه ، وتشويه صفحته الناصعة الصافية وقد بقيت فيهم أحقاد الجاهلية ، فلم تخالط قلوبهم بشاشة هذا الدين ، ولم يزل يسرى في نفوسهم الحنين الى دينهم القويم ، لذا فهم يضمرون لهذا الدين الكيد والكراهية ، ويتربصون به وبأهله الدوائر ، فلا يدعون لحظة تفوتهم - حتى وان تلبسو بثياب الصالحين - لافساد هذا الدين واهله

وهـذه دراسة عن الزندقة نستوضح فيها ما أضمروه من حقد وضغينة على الاسلام وأهله ، وما كان لآرائهم وافكارهم . ومعتقداتهم الفاسدة من أثر فى تشويه هذا الدين ، وما كان لهم من دور كبير فى التشكيك فى العقيدة لينسلخوا منها فيتحقق لهم ما أرادوه من القضاء على الاسلام وأهله وقد أدى ذلك الى صرف جهود الخلفاء والولاة المسلمين ، وبخاصة فى العصرين الأموى والعباسى - اللذين ظهرت فيهما الزندقة بشكل واضح وبصورة متعددة ، وتعمقت جذورها فى بلاد المسلمين - الى قتالهم والقضاء عليهم لابطال معتقداتهم مما كان له أكبر الأثر فى زعزعة كيان الدولة الاسلامية وصرفها عن المهام الاساسية المنوطة بها وهى نشر الاسلام ، وتوطيد دعائمه فى كافة الاقطار ومختلف الازمان .

وقد شدنى الى اختيار هذا الموضوع ما رأيته - كأى داعية مسلم نذر نفسه للدفاع عن دينه - من خطر هؤلاء الزنادقة

على الأذهان والافكار ، وما ترتب على ذلك من اهتمام علماء المسلمين وولاتهم وعامتهم بمقاومتهم فقد حاولوا النيل من العقيدة الاسلامية ، والعبث بالسنة النبوية وكتب الفقه والمثل العليا ، والنظم الاجتماعية والآداب العامة .

وكذلك ما رأيته من انتشار الزندقة فى العصر الحاضر وما يحاوله دعاتها من بعث الزندقة من جديد على ما كانت عليه فى بادىء أمرها - فى العصر الأموى والعباسى - من تضليل المسلمين عن دينهم بتزيين الخلاعة والمجون ، واباحة المحرمات ، للانسلاخ من الدين تحت اسم الحرية والتمدين ، كما كان اتباع الزنادقة فى تلك العصور يفعلونه تحت اسم الظرف والحضارة ، ولكن المضمون واحد وان اختلفت الصور والاشكال ، فلهذا الخطر المستفحل لهؤلاء الزنادقة وما تمثله آراؤهم وافكارهم من خطر على الدين القويم فى مختلف الأزمان والعصور - اخترت الموضوع واضعا نصب عينى أهميته وما يحتاجه

من التمحيص والتدقيق والتحليل ، وما يجب أن أصل اليه من ابراز صور الزندقة ، واظهار الاساليب الملتوية التي اتبعها أصحابها في نشر افكارها ومعتقداتها ، لتعرف فيسلم الناس من شرها وشر اتباعها والمنادين بها ، وقد تطرق الى هذا الموضوع بعض المؤلفين والباحثين الذين أبانوا خطر الزندقة عن طريق التعريض والاشارة تارة ، وعن طريق التخصيص تارة أخرى فنجد في المؤلفات التاريخية القديمة ابرازا لحركات هؤلاء الزنادقة وما قاموا به من ثورات ، وما بذل في مكافحتهم والقضاء عليهم من جهود ، وكذلك في كتب الفرق والطبقات مثل كتاب الملل والنحل (للشهرستاني) وكتاب الفرق بين الفرق (للبغدادي نجد مؤلفيها يستعرضون أفكار الزنادقة وآراءهم مبينين مدى ما تمثله من خطورة على الامة الاسلامية وفي كتاب " الالحاد في الاسلام " لعبد الرحمن بدوي نجد عرضا وتلخيصا وتحليلا وتقييما لكتابات المستشرقين في هذا الصدد .

وفى كتاب الزندقة والشعوبية لسميرة مختار الليثى نجد عرضا وافيا لأفكار الشعوبية والزنادقة وما قاموا به من ثورات . وأيضا فى كتاب الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى العصر العباسى (لزاهية قدورة) نجدها تخصص فصلا بأكمله لحركات الزنادقة ومعتقداتهم ، وقد حاولت بقدر الامكان الافادة من تلك المؤلفات مع المقابلة والمعارضة والترجيح فى بعض الاحيان .

وقد جاء البحث فى ثلاثة فصول وتسعة مباحث واتبعت فى دراستها منهجا تحليليا يعتمد على عرض الافكار ونقدها وتحليلها ، للوصول الى النتائج المتوخاة منها وأفدت كذلك فى دراستى من استخدام المنهجين التاريخى والاجتماعى :

- التاريخى فى عرض الفكرة فى أصولها من حيث النشأة والتطور والنضج .
- والاجتماعى فى بيان صدى الأفكار والآراء ورد فعلها فى مجتمعاتها

ومع ذلك لم استطيع أن أوف البحث حقه لأن مؤلفات الزنادقة اما مفقودة أو ما زالت مخطوطة فى مكانها الحقيقية ومعظم الآراء المتداولة الآن مقتبسة من آراء من تصدوا للرد عليهم .

وقد عملت جاهدا على استقاء المعلومات من مكانها والحرص على التثبت منها بالرجوع الى أمهات الكتب التى تعرضت لهذا الموضوع ، وحاولت جاهدا أبداء الرأى فى هذا الخضم الهائل من المعلومات التى حفلت المؤلفات الكثيرة به ومع ذلك جاء جهدى متواضعا لضيق الوقت ولصعوبة الحصول على المؤلفات التى تركها الزنادقة أنفسهم . ، وأيضا أمكن بصعوبة تذليل الكثير من الصعوبات التى واجهتنى فى البحث داعيا المولى القدير أن يكون جهدى خالصا لوجهه .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقدم

الفصـــل الأول :

عـرض تـاريخـي للزنـــــد قـــة

١ـ تعـريف الـزنـــد قـة لغـــة وشـــرعـــا

٢ـ نشـــأة الـزنـــد قـة الاسباب والاهـــــداف

٣ـ فـــــرق الـزنـــد قـــة

التعريف الاصطلاحى للزندقة :

اختلفت المؤلفات التاريخية فى تحديد مفهوم الزندقة . ويرجع هذا الاختلاف الى غموض الزندقة تحت شعارات تتفق فى مضمونها على مخالفة تعاليم الاسلام والحيلولة دون اتباعه .

ومن هذه الاختلافات اخترت ثلاثة معان فى ظنى أنها الأقرب الى تحديد هذا المعنى وهى :

١- تطلق الزندقة على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم هما النور والظلمة . واتباعها هم أصحاب مانى معتنقى مذهبه ومانى أحدث مذهبا بعد عيسى عليه السلام بين المجوسية والنصرانية . حكى محمد بن هارون المعروف بعيسى الوراق (١) : أن الحكيم مانى زعم ان العالم مصنوع مركب من أصلين أحدهما النور والآخر هو الظلمة وانكر وجود شىء الا من اصل الصورة والفعل مختلفين متضادين حيث زعم أن النور يصنع الخير فلا يصدر عنه الا ما هو خير أما الظلمة فهى اساس الشر (٢) واعتقاده فى شرائع الانبياء ان اول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشرية ثم بعث شيثا بعده ثم نوح ثم ابراهيم عليه السلام ثم بعث بالبلدة فى أرض الهند . وزراد شت الى أرض فارس . والمسيح الى ارض الروم والمغرب وبولس بعد المسيح اليهم . ثم يأتى خاتم النبيين الى أرض العرب وقد وجد الزنادقة بمعنى المانوية تراثا قوميا خلفه الآباء فيجب الحرص عليه واحياؤه وبعهده لا

---

(١) .. عبد الرحمن بدوى - تاريخ الالحاد فى الاسلام ص٢٥ - ٣١

(٢) .. ابن النديم فى كتابه الفهرست ص ١٩

لصلاحه فى ذاته . ولا لأنه يستحق الايمان به كما هو . وانما الحرص عليه نوعا من الارضاء للنعرة القومية . ولاشباع النزعة الشعوبية . واتخذوه مجالا لكى يقارنوا تراث العرب ودين العرب بما خلفه الاباء من تراث ودين ومن أجل هذا كان جميع هؤلاء من الموالى والفرس . وبين هؤلاء وجدت الزندقة . واتخذوها وسيلة من وسائل البعث الفكرى التى يلجأ اليها الشاكك . يريدون من ورائها ان يعبثوا بعقائد الناس . وقد غلب على هؤلاء الايمان به ايمانا صادقا .

فعلى هذا يتضح من هذا المعنى ان الزندقة تعنى معنى واحدا وهو (المانوية) وليس كلمة عامة تطلق على كل كافر أو ملحد . (١)

٢- ويطلق على الذين يلجأون الى دافع الشك الفكرى والفكر المتشكك والاعتماد على الافكار والعقل دون الايمان والمصالح . وأنصار هذا المذهب هم المتكلمين الذين تستهويهم الأحداث العنيفة التى تلهب عواطفهم وتثير ثائرة خيالهم . وكان هذا كافيا لان توضع أسماؤهم من بين الزنادقة .

وقد اعتمدوا فى ذلك على تشكيك الناس فى عقائدهم . والاسراف فى اختراع الاحاديث ووضع المكذوب منها . ومن اتباع هذا المعنى عبد الكريم بن ابى العوجاء . وابو عيسى الوراق .(٢)

---

(١) .. عبد الرحمن بدوى تاريخ الالحاد ص٢٤

(٢) .. سميرة مختار الليثى - الزندقة والشعوبية ص٢٩-٣٠

٣- ويطلق هذا المعنى على أولئك الذين أفرطوا فى دعوة الناس الى المجون والفجور . وجهروا بأقوال فيها معنى السخرية ممن يقوله بتحريم الخمر . حيث كان هؤلاء مجان خلعاء أعجبتهم الحضارات الاجنبية وما اقترن بها من خمر ومجون واستمتاع بالحياة . فقد شغف هؤلاء بالخمر والعكوف على المجون . والاستمتاع باللذات اضافة الى ما يذهبون اليه من عبث فى الدين فى اشعارهم . وطعن فى العرب وحضارتهم من اتهامهم اياهم بانهم بدو ورعاة أغنام واهل ولم يكن لهم ملك ولا حضارة ولا مدنية . ولا معرفة بالعلوم(١) أمثال بشار بن برد . وابى نواس ، وغيرهم ممن اعجبوا بالحضارة الفارسية والرومانية .

وفى هذين المعنيين التاليين يقول الجاحظ " ان عامة من ارتاب بالاسلام انما كان أول ذلك رأى الشعوبية والتمادى فيه وطول الجدال المؤدى الى الضلال . فاذا أبغض شيئا أبغض أهله وان ابغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة . واذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة . فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام . اذ كانت العرب هى التى جاءت به . وهى السلف والقدوة " (٢)

---

(١) .. الجاحظ - البيان والتبيين جـ٣ صـ٢٩- ٣٠

(٢) .. الجاحظ - كتاب الحيوان صـ٢٢٠

المبحث الثانى - نشأة الزندقة

بداية استعمال لفظ الزندقة

ان استعمال اسم الزندقة بهذا اللفظ ظهر أيام مانى . وأول من أطلق كلمة الزندقة بهذا اللفظ هم الفرس .

وبيان ذلك ما أورده المسعودى[1] بقوله " فى أيام مانى هذا ظهر اسم الزندقة الذى أضيفت اليه الزنادقة . وذلك أن الفرس حين اتاهم ازراد شت بكتابه المعروف (بالبستاء) باللغة الاولى من الفارسية وعمل له تفسيرا وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحا . سماه البازند حتى كان من أورد فى شريعتهم شيئا بخلاف المنزل الذى سماه البستاء . وعدل الى التأويل الذى هو الزند قالوا هذا زندى . فأضافوه الى التأويل وأنه منحرف عن الظواهر عن المنزل الى تأويله بخلاف التنزيل فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس . وقالوا : زنديق وعربوه . والثنوية هم الزنادقة . ولحق بهم سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم " هذا ما قاله المسعودى .

هكذا عرف العرب لفظ الزنديق عن طريق الفرس . وكان ذلك عن طريق امارة الحيرة التى كانت تخضع للفرس قبل الاسلام . حيث كان فيها كثير من الادباء الذين تأثروا بتاريخ الفرس وحضارتهم ومعتقداتهم .

ومن الحيرة انتشرت الزندقة ووصلت الى قريش .

---

(١) .. مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢٢

الموالى وارهاقهم بكثرة الضرائب . الأمر الذى أدى الى اضطغانهم على العرب . فشاركوا الخوارج والشيعة فى الثورة على الدولة الاموية (١) وعظم حقد الموالى عليها . والتفت منهم جماعة كثيرة حول أبى مسلم الخرسانى حتى ما لبثوا ان زحفوا بجيش ضخم أدالوا به للعباسيين من الأمويين وللفرس من العرب ادالة نفذوا بها الى مناصب الدولة العباسية العليا بحيث كان منهم أكثر القواد وأكثر الولاة . وخاصة حين استولى على زمام الحكم البرامكة فى عهد الرشيد وبنو سهل فى عهد المأمون ، وكان هذا التحول الخطير فى مقاليد الحكم وما أصبح للفرس من مكانة رفيعة فى المجتمع العباسى الجديد سببا فى بروز نزعة الشعوبية التى تقوم على مفاخرة تلك الشعوب - وفى مقدمتها الشعوب الفارسية - للعرب مفاخرة تستمد من حضارتهم . وما كان العرب فيه من بداوة وحياة خشنة غليظة . وكان منهم متطرفون تجاوزوا حد التسوية بين العرب وغيرهم من الشعوب . الى الازراء بهم . وكان منهم قوميون استشعروا قوميتهم ضد العرب الذين إجتاحوا ديارهم وقوضوا دولتهم وهى مشاعر ما زالت تحتدم فى نفوس الفرس حتى أحيوا لغتهم ودولتهم فيما بعد . وكان منهم الملاحدة والزنادقة الذين كانوا يبغضون الدين الحنيف . وكل ما اتصل به من عرب وعروبة . فمضوا يزورون على خطابة المسلمين واسلحتهم من دس على هذا الدين كوضع الاحاديث ونحوه .

---

(١) .. أبو فرج الاصفهانى جـ ٤ صـ ١٦٤ وما بعدها

فكان من ذلك نشوء الزندقة وانتشارها .

من هذا يتضح أن الزندقة قويت بعد قيام الدولة العباسية وانتشرت في الكوفة والبصرة . وقد فشت بمعانيها المختلفة . ووجد هؤلاء طريقا وصلوا به الى مقاليد الحكم والقيادة وهو الاسلام ظاهرا . ثم لما تحقق لهم ما أرادوا أخذوا يكيدون للاسلام وأهله بالدعوة الى الشعوبية والقومية واحياء المذاهب الدينية المختلفة .

ويرى الدكتور احمد أمين (١) أن " استعمال كلمة الزندقة في العصر الأموى كان قليلا نادرا وفي العصر العباسي كان فاشيا شائعا " . ثم يقول : " والعرب لا تعرف الزندقة ولا تميل اليها فهم يطمئنون الى ملكهم ودينهم " ثم يتابع القول : " فلما اتت الدولة العباسية انتعش الموالي وخاصة الفرس وأصبح أكثر السلطات في أيديهم وظبوا على العرب . وقد كانت لهم ديانات سابقة لم ينسوها جميعا لما اعتنقوا الاسلام وكان لا يجرؤون أن .. ينطقون بكلمة . وكان همهم الاول أن يتحرروا سياسيا لا دينيا فكانت دعواتهم السرية . واجتماعاتهم وتدابيرهم للسياسة لا للدين . فلما نجحوا واطمئنوا وغلبوا بدأت تلعب في رؤسهم الديانات القديمة والجديدة فكانت الزندقة .

وهكذا ظهرت تيارات الزندقة في العصر الأموى . واتخذت

---

(١) .. عبد الرحمن بدوى ـ الالحاد في الاسلام ص٢٦

صـــــورة خطـيرة فـي العصـر العباسي . وبرزت خطـورتهـا حينمـا أعلـنت الثـورة ،، ورفعـــت رايـات العصـــيان المـدني ، وحـاولـت النيـــل من الاســـلام ، ونتـج عنهـا تيـــارات فكـريـة ، واســتأثرت باهتمـام الخلفـاء ورجـالات الـدولـة فضـلا عن عـامة المسـلمين والعـرب .

فـرق الزنادقـــة

من التعـريف السـابق يمكن أن نسـتعرض فرق الزنادقـة الـتى لـم تـزل تكـثر وتتشـعب حسـبما بين ذلـك بينـا المعصـوم (افترقت اليهـود عـلى احدى وسـبعين فرقـة والنصـارى مثل ذلك . وتفـترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة) (١) وفـى هـذا الموضـوع رأيت أن اقتصر فى الحـديث على امهـات فـرق الزنادقـــة وما سـواهـا متشـعب عنهـا أو متفـرع منهـا . أو آخـذ منهـا .

وسـنرى من دراسـتنا لهـذه الفـرق أنهـا الحاديـة مستترة بثـــوب ســـياســـى فـى أغلب الاحيـان .

الفـرق الأولـى (الراونـدية) :-

كـان هـؤلاء القـوم من أهـل خراسـان ومن اتبـاع أبى مسـلم وظهـروا سـنة احـدى وأربعـين ومائـة أبـان حكم الخليفـة العباسـى - المنصـور - ويقـولون بالتنـاسـخ والحلـول ويزعمـون أن روح آدم فـى عثمان بن نهيـك وأن ربهـم هـو المنصـور هـو الـذى يطعمهـم ويسقيهـم ، والهيثم بن معاويـة هـو جبرائيـل .

ويرى الطـبرى (٢) أن جماعـة منهـم خـرجت على النـاس بالسـلاح فأقبلـوا يصيحـون بأبى جعفـر المنصـور : انت انت!! يعنـون بذلك انت اللـه - فخرج اليهـم بنفسـه فقـاتلهـم فأقبلـوا مرة أخـرى - أنت أنت .

---

(١) .. مسند الامـام احمـد بن حنبل

(٢) .. الطـبرى - التـاريخ جـ٦ صـ١٤٧

وفـي تـاريخ الخلفـاء (١) أنهـم اتـوا قصـر المنصـور فقـالوا هـذا قصـر ربنـا . فـأخـذ المنصـور رؤسـاءهـم فحبس منهـم مئتين . فغضـب أصحابهـم . وأخـذوا نعشـا وحملـوا السـرير . وليس في النعش أحـد ومروا بـه حـتى صـاروا على باب السـجن فرموا بالنعش وحملوا عـلى النـاس ودخلـوا السـجن وأخرجـوا أصحابهـم ثم توجهـوا نحـو المنصـور . وعددهـم حينئـذ سـتمائة رجـل . فـأحـدثوا ضجـة بين النـاس وأغلقـت أبواب المدينـة فخـرج اليهـم المنصـور ماشـيا - فـأتى بدابـة فركبهـا وهـو يردهـم فتكـاثروا عليـه حـتى كادوا يقتلـونـه ثم جـاء معن بن زائـدة الشـيبانى وكـان مسـتخفيا مـن المنصـور لقتـالـه مع ابن هبيرة وقـد اشـتد طلـب المنصـور لـه . فجـاء في هـذ اليـوم متلثما . ودافع عنـه دفاعا قويـا ثم اقـترب من المنصـور ولجـام بغلتـه في يـد الربيـع حاجبـه . وقـال : تنـح أنـا أحـق بهـذا اللجـام فـي هـذا الوقـت وأعظـم ، فقـاتل حـتى ظفـر بالراونديه وقـد كـان أبو جعفـر المنصـور ينظـر الى الراونـديـة كأعداء سـياسـيين لدولتـه لانهـم من اتبـاع عـدوه أبـى مسـلم الـذين يعملـون عـلى تحـويل الخـلافـة الـى ملك كسـرى كمـا كـان ينظـر اليهـم باعتبـارهـم زنـادقـة يريـدون أن تعـود المجوسـية الـى شـكل من اشـكالهـا كالزراد شـتيه أو المانويـة . أو المزدكيـة وغيرهـا فعـاملهـم كمـا عـامل أبـا مسـلم وقتلهـم شـر قتلـه الا أنهـم ظهروا بعـد وفـاة المنصـور فـي صـور مختلفـة نراهـا مرة فـي ثـورة المقنـع الخرسـانى وبابـك الخـرمى مـرة أخـرى .

---

(١) السـيوطى - تاريخ الخلفـاء ص ٢٦٣

الفرقة الثانية (المقنعية) :-

المقنعية هم اتباع المقنع الخراساني الذى ظهر فى عهد الخليفة المهدى سنة تسع وخمسين ومائة بخراسان ، وكان رجلا أعور قصيرا من أهل مروة اسمه حكيم اتخذ وجها من ذهب فسمى بالمقنع ادعى الالوهية . ولم يظهر لجميع اصحابه وكان يقول : " ان الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم صورة نوح .... وهلم جرا .... الى ابى مسلم الخراساني ثم الى هاشم " يعنى به نفسه .

قال بالتناسخ والحلول وأسقط الصلاة والصوم والحج . وأباح للناس الأموال والنساء . وكانوا يسجدون له من أى ناحية أتاهم وكانوا يرفعون أصواتهم باسمه فى الحرب بقولهم : " أعنا ياهاشم " ثم قوى أمره . وكثر أنصاره . وانضم اليه بعض أهالى بخارى وسمرقند والاتراك الذين كانوا يقيمون حول بحر قزوين . وتحصنوا بقلعة " سنام " وسنجرده وهما من رساتيق (كش) كما ظهرت المبيضة (١) ببخارى وقد أعان الكفار من الاتراك المقنع بالاغارة على أموال المسلمين وكانوا يعتقدون أن أبا مسلم أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى سنة مائة واحدى وستين أرسل اليهم الخليفة المهدى " معاذ بن مسلم " وجماعة من القواد فحاربوا جيوش المقنع وأوقعوا بهم هزيمة نكراء . ففر المنهزمون الى المقنع وكان يومئذ بـ " سنام " بعد أن عمل

---

(١) .. الكامل لابن الاثير جـ ٩ صـ ٥٤

حولهـا خنـدقا وحصنهـا . وأتـاهم معـاذ فحاربهـم ثم أوكل أمرهـم الـى " الحـرش "(١) وطـال الحصـار على المقنـع . فطلب أصحابـه الامـان سـرا فأجابهـم الحـرش الـى ذلك فخرج نحـو ثلاثين ألفـا وبقى مع المقنـع زهـاء ألـفين .

قـال بن العـربى (٢) : " ولمـا شـعر المقنـع بالهزيمـة أشـعل النـار فى القلعـة وأحـرق كـل ما فيهـا من د واب وثيـاب ومتـاع . وسـقى أولاد ه وأصحـابه شـرابا سـموما شـرب هـو منـه فماتوا جميعـا " .

وجـاء فى الكامل لابن الأثير (ودخل العسكر القلعـة فوجـدوها خاليـة خـاويـة . وكـان ذلك مما زاد فـى افتتنان من بقى من أصحابـه والذين يسمون المبيضـة بما وراء النهـر الا أنهـم يسـرون اعتقاد هـم .

الا أن صـوت المقنـع لـم يخمـد ابدا لتعاليمه فقد اعتنـق تلك التعـاليم نفـر من بـلاد ما وراء النهـر أصبحـوا يعـرفـون باسـم " المقنعيـة " وقـد زعمـوا أن المقنـع اله وانـه تصـور فى كـل زمـان بصـورة خاصـة وأصبح لـه أشـياع فـى بـلاد ما وراء النهـر وفى تركسـتان ، واتخـذوا فى كـل قريـة مسـجدا خـاصـا بهـم ، وهـم يسـتحلون الميتـة والخـنزير ويبيحـون النسـاء وان ظـفروا بمسـلم قتلـوه وأخـفوا جثتـه .

هـذا وقـد اهـتم المهـدى بأمـر هـؤلاء لمـا كان أثـاروه من فتن د ينيـة خطـيرة وعمـد الـى التنكيل بهم والقضـاء عليهـم . .

---

(١) . . تاريخ الامم والملوك لابن جرير الطبرى جـ٦ صـ ٣٧٤

(٢) . . أبو بكر العربى ـ العواصم والقواصم

الفرقة الثالثة (الخزمية) :-

امتدادا للروندية وانبثاقا من المقنعية كانت الخزمية من اتباع بابك الخرمي الذين كانوا قد ظهروا في سنة ٢٠١هـ للهجرة في عهد الخليفة المعتصم اذ بعثت في اذربيجان العقائد التي بشر بها أبي مسلم الخرساني وتلميذه المقنع على يد بابك الخرمي الذي اجتمع حوله خلق كثير واتسع سلطانه حتى أوشك أن يعزل المقاطعات الفارسية عن العرب .

وقد عاث في الارض فسادا وقطع الطرق وسلب الحجاج وبقيت ثورته قوية مدة من الزمن .

كان المبدأ الاساسي الذي قامت عليه الحركة الخزمية . مبدأ سياسي يظهر في كونهم يريدون تحويل الملك من العرب الى الفرس والمجوس ، وهم بذلك قد أثاروا حربا شعواء على العرب والاسلام .

ولما كان من الصعب مجابهة الدولة الاسلامية سياسيا لجأوا لتزيين دعوتهم باسم الدين استمرارا على مبادئ التعطيل والالحاد والكفر وبذلك خرجت هذه الحركة من حيز سياسي ضيق الى حيز ديني واسع يتجلى في كونهم زنادقة يدعون بكل مبدأ يتناسب مع غرضهم الاساسي ، وهكذا عرف هؤلاء بكونهم فرقة من فرق الزنادقة بسبب تعاليمهم ومبادئهم التي منها :

تأليه البشر . حيث ادعى بابك أن روح " جاويدان حلت فيه " (١)

---

(١) .. ابن الاثير - الكامل ج ٩ ص ٤٥

حتى كان الحزمية يقولون : " آمنا بك يا روح بابك كما آمنا بك يا روح جاويدان " .

ومن مبادئهم الرجعة التي قال بها غلاة الشيعة ، وهم يقولون بالتناسخ ويزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة وان الوحي لا ينقطع ابدا ، وكل ذي دين مصيب عندهم اذا كان راجيا ثوابا وخاشيا عقابا ، ولا يرون تعقيره أو الاساءة اليه ما لم يرم نحلتهم أو يطعن في مذهبهم .

وهم يعظمون أبا مسلم الخراساني ويلعنون أبا جعفر المنصور على قتله ويكثرون الصلاة على فيروز ولد فاطمة بنت أبي مسلم ولهم أئمة يرجعون اليهم في الأحكام . ويتبركون بالخمور ، والرجل منهم ينكح أمه وابنته . وهم يبيحون النساء ، وقد رفضوا جميع الفروض الدينية ومن مذهبهم التناسخ والحلول وان الروح يمكن أن تنتقل من حيوان الى غيره .

ومهما يكن من أمر فان الحزمية متمثلة باتباعها دعاة الحماد وزندقة كان لهم أكبر الاثر في صرف جهد الخليفة المعتصم لمحاربة معتقداتهم ومحاولة القضاء عليهم حتى يستتب الأمن وتسلم تعاليم الدين من شبههم .

الفرقـــة الرابعـــة (الباطنيـــة) :-

ظهـرت حركـة الباطنيـة أيام السلطان ملك شـاه سـنة خمس وسـتين وأربعمـائة ، حيث اجتمع منهم ثمانيـة عشر رجلا . فصلوا صلاة العيـد ثم أنهم دعـوا مؤذنا فأبى فقتلوه كى لا يفضح أمرهم ، فبلغ أمرهـم الى الملـك فأمر بأخذ من يتهم بقتله ، فوقعت التهمة على نجار اسمه طـاهر فقتل .

وقـد اشتد أمرهـم بعد موت ملك شـاه . وانتشرت تعاليمهم واجتمعوا من شـتى الانحـاء ، وقتلوا كل من خالفهم ، وانتشر الرعب بين النـاس بسبب أعمالهم .

وقد ذكر ابن الاثير(١)أنهم أخذوا مؤذنا فقام أهل بيته للنياحـة عليه فأصعده الباطنية الى سطح داره ، وأروه أهله كيف يبكون وهـو لا يقدر أن يتكلم ، وهـذا يدل على قوة بأسهم .

الا أنهم انحلوا على يد الفقيه الشافعى أبو القاسم مسعود بن محمـد الجندى حيث حاربهم وقتل منهم خلقا كثيرا فى أصبهان .

مذهـب الباطنيـة

يمكننا القول أن الباطنية هى الاطار العام لفرق كثيرة متعددة منها ما يسمى بالطبيعيين والدهريين وغيرهما .

---

(١) .. ابن الاثير/الكامل جـ٣ صـ٥٩

وقد ذكر (١) جمال الدين الافغاني أن الباطنيين ذهبوا في تعاليمهم ونشر دعوتهم مذهب التدليس واشارة الشك ، وقد اتبعوا اسلوبا في دعوتهم يتمثل في الطعن في ايمان المؤمن واثارة الشكوك حوله وقد جمع الباطنيون في تعاليمهم كل معاني الكفر والالحاد والمتمثلة في ابطال الشريعة جملة وتفصيلا بأنواع من الحيل من جملتها التحدث بالظواهر على أن لها بواطن هي المقصودة " فقالوا كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الالهية هي أمثلة ورموز لبواطن .

يقول الشاطبي (٢) في الاعتصام " ولهم من هذا الافك كثير في الأمور الالهية وأمور التكليف ، وأمور الآخرة ، وكله يحوم حول ابطال الشريعة جملة وتفصيلا أو هم ثنوية ودهرية ، واباحية ومنكرون للنبوة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار والملائكة ، بل هم منكرون للربوبية وهم المسمون بالباطنية "

يقوم المرشد عند الباطنية بتلقين من سقط في حبالهم بأن الاعمال الشرعية الظاهرة ، انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق وبما أن الشخص قد وصل الى الحق ، فلا داعي للاعمال البدنية من العبادات ، ثم بعد أن يطمئن لمذهبهم يصرحون له بأن الاعمال كلها مطلقا

---

(١) .. جمال الدين الافغاني - رسالة في الرد على الدهريين - نقله الامام محمد عبده ص ٦ ، ٧

(٢) .. ابو اسحاق الشاطبي - الاعتصام جـ ١ ص ١٤١

وكذلك سائر الحدود والعقوبات بل والمعتقدات ايضا انما الزمت فرائضها الناقصين والمصابين بأمراض النفوس . وتخلف العقول ، وبما أنك وصلت الى الحق فلا داعى لكل تلك التكاليف ، وتمتع باباحية المرشد ، وتخرج من قيود التكاليف الى رياض الاباحة الواسعة .

وبعد ذلك يلقن من وقع فى حبالهم دروسا أخرى حتى يطمئنوا لحصوله فى زمرتهم فيقولون له . ماالحلال . وما الحرام . وما الأمانة وما الخيانة ؟ وما الصدق . وما الكذب ؟ . . ما هى الفضائل وما هى الرذائل ؟ . . انها وضعت لمعان مختلفة وليس لها أية حقيقة واقعية فلتتعلم بالحرية ، ويلاحظ من تعاليمهم هذه أنهم يخاطبون العقل وحده حتى يستدرجوا ضعاف النفوس ، ثم بعد ذلك يشرع رئيسهم بتلقين من انضم لمذهبهم فى اثبات دعواه هذه عن طريق تنزيه الله سبحانه وتعالى فيقول المرشد أن الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجودا لأشبه الموجودات ، وكذلك لو كان معدوما لأشبه المعدومات فهو اذا لا موجود ولا معدوم ، فهم يقرون بالاسم دون المسمى ولا يخفى بطلان هذه الدعوى .

هذا وقد رد عليهم كثير من الأئمة نورد هنا قول أبى حامد الغزالى نقلا عن الاعتصام(١) حيث يقول " ينبغى أن يعرف الانسان أن رتبة هذه الفرقة هى أحسن من رتبة كل فرقة من فرق الضلال ، أو لن

---

(١) . . أبوسحاق الشاطبى ـ الاعتصام

تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية اذ مذهبها ايصال النظر وتغيير الألفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز وكل ما يتصور أن تنطق به ألسنتهم ، فاما نظر أو نقل . أما النظر فقد أبطلوه وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه فلا يبقى لهم مُعتصم والتوفيق بيد الله "

وعلى الجملة فان الباطنيين يظهرون الاسلام ليكيدوا له ويدسوا عقائد الشرك والضلال بين أهله وأنهم في الأصل مجوس منطوون على بغض شديد للعرب ودينهم ولم يستطيعوا هدم دولة العرب بالقوة وتقويضها ، فاحتالوا على مآربهم بالدسيسة والمكيدة وأنشأوا نحلتهم لاستدراج المسلمين وتحويلهم شيئا فشيئا عن عقائدهم الى التعطيل والاباحة والكفر بالبعث والمعاد وانكار الفرائض والعقائد والأديان .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثانى

نشاط الزندقة فى العصرين الأموى والعباسى

المبحث الأول :- الزندقة فى العصر الأموى

المبحث الثانى :- الزندقة فى العصر العباسى

المبحث الثالث :- الجهود المبذولة فى القضاء على الزندقة

الزنـــدقـة فـى العصـــر الأمـــوى :

ترجـع جـذور الزنـدقة الـى العصـــر الأمـوى (١) حـيث شـاع اللفـظ فـى هـذا العصـــر ، وان كـانت مسـتترة وراء الصـراع بين العـرب والموالـى الفـرس واقتصـرت مظـاهر الزنـدقة فـى العصـر الأمـوى على شـاعر يتغـنى بأمجـاد ساسـان ، وزنـديق يبشـر بالمانويـة . وكـانت ينقـل تـراث الفـرس القـدماء فـى الحضـارة والـدين ، ولـكن بدايتهـا كانـت محاطـة بالغمـوض لأنهـا بـدأت عملهـا فى جو من الحـذر والكتمـان . الأمـر الـذى يتعـذر معـه تحديـد بدايـة لهـا فـى هـذا العصـر ، ويمكننـا أن نركـز العـوامل الـتى أوجـدت بـذور الزنـدقـة فـى العصـر الأمـوى وعملـت عـلى تنميتهـا ورعايتهـا فـى هـذا العصـر ، هـذه العوامل هـى (٢) :

أولا : سـخط الموالـى الفـرس وتعصـبهم ضـد العـرب عامـة ، والدولـة الأمويـة خاصـة واتخـاذ الزنـدقـة وسـيلة من وسـائل الكيـد للعـرب الأمويـين .

ثانيا : اعـتزاز الموالـى الفـرس بقوميتهـم الفارسـية ومحاولتهـم الاسـاءة الـى القوميـة العربيـة عن طـريـق الالحاد والزنـدقـة .

ثالثا : سـياسـة الدولـة الأمويـة فى التعـريب ، وخاصـة فـى تعريـب الـدواويـن .

رابعـا : اعتمـاد الشـاعرين عـلى الدولـة الأمويـة على الموالـى وخاصـة

---

(١) .. الاصـفهانى ـ كتاب الاغانى جـ ٤ صـ ٣١

(٢) .. سـميرة مختـار الليـثى ـ الزنـدقـة والشـعوبية صـ ٣١

الفرس مما أشعرهم بأهميتهم ونمى فيهم شعور العداء للعروبة والاسلام .

خامسا : احتفاظ الموالى بعقائدهم القديمة ، وتظاهر بعضهم بالاسلام من أجل الكيد له مما أدى الى ظهور الزندقة .

سادسا : الصراع بين الفرق الدينية والاحزاب السياسية وتنافسها على ضم الموالى اليها ، وتطوير مبادئها بحيث تلائم العناصر الفارسية .

فاذا تصفحنا كتب التاريخ المعتمدة فاننا نجد أن أول ما وصل الينا من أخبار الزنادقة ما ذكره (١) ابن الاثير عند كلامه عن سيرة الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك من أن الجعد بن درهم أظهر مقالة بخلق القرآن أيام هشام ، فأخذه وارسله الى خالد القسرى عامله على العراق ، وأمره بقتله فأخره خالد ، فجاءه الأمر من هشام بالتعجيل بقتله ، فلما صلى خالد بالناس عيد الأضحى قال فى آخر خطبته : " انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم ، فانى أريد أن أضحى بالجعد بن درهم فانه يقول : ما كلم الله موسى ولا اتخذ ابراهيم خليلا ، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا " ثم نزل

ويرى ابن النديم (٢) أن الجعد كان مربيا لآخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد كان زنديقا ، وأن الجعد أدخل مروان وولده فى الزندقة

---

(١) .. ابن الاثير - الكامل جـ٤ صـ١٠٤

(٢) .. ابن النديم - كتاب الفهرست صـ٤٧٢

ويعتبر الدكتور الدورى الجعد من طلائع نشاط المانوية باسم الزندقة (١) ويذكر الاصفهانى فى كتابه الاغانى أن عبد الصمد بن عبد الاعلى مربى الخليفة الأموى الوليد بن يزيد بن عبدالملك ومؤدبه كان زنديقا ، فهل أثر عبد الصمد فى سلوك الخليفة الأموى الوليد بن يزيد ؟

هذا ما أكده ابن الاثير فى تاريخه (٢) حيث بين أن الذى كان يحمل الوليد على المجون ويشرب الشراب هو عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدبه ، كما اتخذ الوليد ندماء - فلما تبين هشام بن عبد الملك أحواله من المجون والشراب ولاه الحج ليقطع عنه ندماءه ، الا أن الوليد أثناء توجهه للحج حمل معه كلابا فى صناديق وعمل قبة على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل الخمر فخوفه أصحابه وقالوا : لا نأمن الناس عليك وعلينا فلم يفعل ، وظهر منه تهاون بالدين واستخفاف .

قال شبيب من شبه : كنا جلوسا عند المهدى فذكروا الوليد فقال المهدى : كان زنديقا ، فقام أبوعلاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل اعدل من أن يولى خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقا لقد أخبرنى من كان يشهد فى ملاعبه وشربه عنه أنه كان اذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التى عليه ثم يتوضأ

---

(١) .. الجذور التاريخية للشعوبية ط٢

(٢) .. ابن الاثير - الكامل جـ٤ صـ١١٨

فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب نظاف بيض يلبسها ويصلى فيها فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب فلبسها واشتغل بشربه ولبسه ولهوه ، فهذا فعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدى : بارك الله عليك يا أبا علاثه .

ومما اشتهر عن الوليد أنه فتح المصحف يوما فأخرج الآية " واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد " (١) فألقاه ورماه بالسهام .

ومن الآثار الدينية الخطيرة التى انبنت عليها حركات الزندقة فى هذا العهد تزييف الأحاديث النبوية ، والعبث بكتب الفقه ومحاولة العبث بفلسفة الاخلاق الاسلامية ، وتشجيع عامة الناس على الاقبال على شرب الخمر وارتكاب المحرمات ، والعبث بالآداب العامة

ولما كانت الزندقة تعمل على هدم الاسلام ، فهى بالتالى تريد هدم أسسه العامة ، وقيمه الروحية ، ومثله العليا ، ومن هذه الأسس الأساس الاجتماعى حيث نادى الزنادقة بالحرية الاجتماعية ونزعوا الى المجون ، ودعوا الى افكارا اجتماعية وخلقية تتعارض مع روح الاسلام وتتستر وراء ما سموه بالظرف والحضارة ، وهدفهم فى الواقع تفكيك روابط المجتمع واضعاف كيانه الاجتماعى .

ولا بد أن نشير الى أن الفترة الاخيرة من العصر الأموى تميزت (٢) بصراع الاحزاب السياسية والفرق الدينية ، وظهرت روح الزندقة

---

(١) .. الآية ١٥ من سورة ابراهيم

(٢) .. الزندقة والشعوبية ـ سميرة مختار الليثى ص٥١

واضحة من بين ثنايا وآراء وعقائد هذه الاحزاب والفرق . فكانت هناك فرق الخوارج والمرجئة والتى كان لها الدور الكبير فى ازالة الدولة العباسية على الدولة الأموية .

فالخوارج شغلوا الخلفاء الأمويين المتأخرين عن أعدائهم من الدعاة العباسيين الذين انتهزوا كل فرصة لنشر دعوتهم ، وكان الخوارج ستارا كثيفا حجب عن الولاة الأمويين بالعراق ما يجرى فى خراسان من الدعوة للعباسيين .

وقد تسللت الى عقائد الخوارج كثير من التعاليم المجوسية والآراء التى تنضح فيها الزندقة ، وخاصة فى فرقة الخوارج (١) الازارقة التى اتخذت من الأهواز مركزا لنشاطها السياسى والحربى . مما جعلها تنادى ببعض التعاليم المجوسية لتجذب الفرس اليها . فأباح رؤساؤهم زواج بنات البنات وبنات البنين وهو ما تبيحه التعاليم المجوسية ومما يتعارض تماما مع تعاليم الاسلام . وكذا أجاز هؤلاء للمسلمات أن تتزوجن سرا من بنى قومهم من الكفار والاسلام يمنع زواج المسلمة بالمشرك (٢)

وكذلك استتر الزنادقة وراء عتدال المرجئة فى مبادئها السياسية والدينية ونجحوا فى التسلل الى صفوفها بل استطاعوا

---

(١) . . هم اتباع ميمون بن عمران والضحاك

(٢) . . البغدادى ـ الفرق بين الفرق ص ٢٦٤-٢٦٥

أن يحرضوا تقاة المرجئة الى الثورة على السلطات العربية . ولم يقتصر هذا على الجانب السياسى فقط وانما وقع بعض قادة المرجئة فريسة لسموم الزندقة كذلك .

ومثلا لذلك الجهم بن صفوان الذى كان فى مقدمة هؤلاء المتسللين . وهو رجل فارسى أقام بالكوفة ، واعتنق آراء المرجئة ونادى بتعاليم جديدة غريبة منها قوله ان الايمان عقد بالقلب وان الانسان ما دام مؤمنا بقلبه فلا يضره أن يعلن غير ما يبطن أى انه يبيح للشخص غير المسلم أن يدعى الاسلام سرا ، ويعلن اعتناقه أى مذهب من المذاهب المجوسية والوثنية .

وانتشرت هذه التعاليم التى يمكن وصفها بالزندقة فى خراسان وفارس ، وجعلت بعض أهلها يتحللون من الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها مكتفين أن يكون ايمانهم بقلوبهم ، وناسين أن الايمان قول وعمل واعتقاد (١)

كل هذه الآراء والمعتقدات ظهرت فى أواخر الدولة الأموية واتخذت هذه الفرق من الصراع بين الأمويين والعباسيين وسيلة لبث زندقتها بين المسلمين .

---

(١) . . الشهرستانى : الملل والنحل صـ٤٠

البحث الثاني

الزندقة في العصر العباسي

شهد العصر العباسي حركات عديدة قام بها الزنادقة بدأت منذ قيام الدولة العباسية واستمرت الى نهاية عصرها الأول . . واتصفت معظم هذه الحركات بالخطورة . فقد اعلنت الثورة المسلحة ورفعت رايات العصيان المدني ، وبلبلت العقول ، وشوهت الافكار وحاولت العبث بعقيدة الدولة الرسمية ، وبنظمها السياسية والاجتماعية ، ونتج عنها تيارات فكرية وثقافية مختلفة واستأثرت باهتمام الخلفاء العباسيين ورجالات الدولة فضلا عن عامة المسلمين والعرب .

وقبل أن نتحدث عن صور الزندقة في العصر لابد لنا من الاشارة الى أن العصر العباسي الأول قد حفل بكثير من الفرق شيعية وخوارج ومعتزلة ومرجئة ، وقد تفرعت عن هذه الفرق عشرات الفروع الى جانب فرق المجوسية والزندقة والصابئة وغيرها من الملل والنحل ، وظهر الى جانب هؤلاء جميعا جماعة من الشكاك . رؤا هذه المذاهب المختلفة والآراء المتناقضة والأدلة المتعارضة فشكوا فيها جميعا . وقد اقترن هذا الشك والالحاد عادة بالبحث العلمي وظهر هذا الاقتران أكثر وضوحا في العصر العباسي منه في

العصر الأموى . ذلك أن العلم الذى كان شائعا فى العصر الأموى كان العلم الدينى من جمع للحديث وتفسير للقرآن الكريم واستنباط الاحكام الشرعية فيها . وهذه لا تثير فى النفوس شكوكا انما الذى قد يثير هذه الشكوك مذاهب الكلام والجدل الدينى حول المسألة الأساسية فى الاديان والبحث الفلسفى على النحو الذى يبحثه أرسطو وافلاطون فى المادة والصورة ، والجزء الذى لا يتجزأ والجوهر والعرض وما الى ذلك ، وهذه الاشياء كانت قليلة فى العصر الأموى وهى وفيرة جدا فى العصر العباسى (١).

أما عن صور الزندقة فى هذا العصر فنرى أنها كانت فى بادىء الامر كانت تستتر وراء تعاليم الاسلام الذى يحث على المساواة ، وكان هؤلاء الزنادقة يريدون أن يحقروا من شأن العرب الذين كانوا ينادون بأنهم القومة على العقيدة الاسلامية والرافعين لوائها ، وهم فى نفس الوقت أيضا يجحدون فضل العرب فى نشر الاسلام وينادون بأن جميع الأمم سواء فى الفضل والحضارة ، وأن العرب ليسوا خير أمة وأنهم لا يخلون من النقائص والمثالب .

ووقف الخلفاء العباسيون من الزنادقة موقفا حاسما وشعروا بالغيرة الشديدة على الاسلام ، مما أثار مشاعر الفرس ، حتى أن الفرس المجوس كانوا يسمون الاسلام فى العصر العباسى (الدين الاسود) لأن شعار

---

(١) . . احمد أمين - ضحى الاسلام جـ ١ صـ ١٤٤

العباسيين هو السواد وضاعف من خطورة حركات الزنادقة ،أن قادة الفتن كانوا من المقربين من الولاة العباسيين ، وأشخاصا منهم منحهم الولاة فى الدولة العباسية ثقتهم ، وأتاحوا لهم الوصول الى أرقى المناصب ، جريا على سياسة الاسلام التى لا تعرف عصبية أو تفرقة ولكن هؤلاء خانوا الامانة ، وهاجموا الامة الاسلامية فى عقيدتها وعروبتها (١) .

وحاول هؤلاء الزنادقة الاساءة الى الاحاديث النبوية ، فوضعوا الاحاديث فى فضل الفرس و أسندوها الى الثقات من الصحابة والتابعين وامتد عبث هؤلاء الى كل علم حتى الفقه .

بلغت حركات الزندقة أوجها فى العصر العباسى ، ونستطيع أن نقسم حركة الزندقة الى قسمين . القسم الأول وهو القسم العملى الذى قام فيه الزنادقة بحركات ثورية بدأت من بلاد فارس وامتدت الى كثير من نواحى الدولة العباسية ، والقسم الثانى وهو الدور الفكرى الذى ظهر فيه زنادقة مسالمون ينشرون دعوتهم عن طريق الكتابة والشعر والفلسفة (٢) . وقد ساعد على قيام تلك الحركات الثورية عوامل كثيرة أهمها الفتن التى نشبت فى جميع انحاء الخلافة كتلك التى أثارها العلويون والخوارج والامويون وبعض العباسيين الطامعين فى الخلافة وغيرهم وكذلك معاملة بعض عمال الخلفاء فى خراسان كعلى بن عيسى بن ماهان

---

(١) .. سميرة مختار الليثى - الزندقة والشعوبية ص٨٤

(٢) .. ابن جرير الطبرى - تاريخ الطبرى جـ١٠ ص١٥٥

عامل الرشيد على خراسان وكان أثقل أهلها بالضرائب ، وكذلك انقلاب الخلفاء على بعض الشخصيات والاسر الفارسية الكبيرة التى كان لها فضل كبير فى اقامة الدولة العباسية كقتل السفاح لأبى سلمة الخلال والمنصور لأبى مسلم ، والرشيد للبرامكة وكانت حياة اللهو والمذخ والمجون التى يحياها بعض الخلفاء باعثة للنزعة والعادات الفارسية القديمة ، وساعد على ذلك ترجمة بعض الكتب الفارسية الى اللغة العربية .

ولم يكن الخلفاء فى بعض الأحيان يتصدون لدفع الزندقة الا اذا . . وجدوا منها خطرا على ملكهم ، أما الزنادقة المسالمون فكانوا يتركونهم فى كثير من الأحيان وانتشرت بذلك الزندقة لما كانت تدعو اليه من مبادىء مغرية كالمساواة فى الأموال واباحة شرب الخمر والربا (١) وكان أول زنديق ظهر فى بدء الدولة اسمه فريد (٢) وكان من رستاق ينسابور وكان مجوسيا يقدس النار (٣) ويقال أنه خرج أيام أبى مسلم الخرسانى . قال بنبوة ازرادشت ، ولوجود اله واحد وبعقيدة البعث والحساب والجنة والنار . كما ادعى أنه يوحى اليه بالسر . (وجاء أنه وضع كتابا ، وحرم على اتباعه الخمر ، وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وحرم عليهم الميتة وذبح الحيوان حتى يهرم) (٤) .

---

(١) . . حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسى جـ٢ صـ١٠٥

(٢) . . لم نقف على تسمية كاملة له

(٣) . . الشهرستانى ـ الملل والنحل جـ٢ صـ٧٠

(٤) . . المرجع السابق .

أما أقوى حركات الزندقة فى العصر العباسى الأول ، فهى حركة أبى مسلم الخرسانى الذى اعتبره المؤرخون الحجر الاساسى الذى قامت عليه حركات الزنادقة ، فبعد أن كانت الزندقة تعمل فى العصر الأموى فى الخفاء . بدأ يجهرون بما فى نفوسهم .

فقد ذكرنا فى الفصل السابق أن الزندقة فى العهد الأموى كانت تستتر وراء المناداة بالمساواة بين العرب والموالى ، أو خليف مبادىء الفرق المختلفة من شيعة وخوارج ومرجئة . ولم تكن عندهم فى هذا العصر الجرأة على العمل علنا فى ضوء النهار ، حتى اذا بدأت الدعوة العباسية دخلت الزندقة فى دور جديد يتصف بالعلانية وبالايجابية .

اختار العباسيون ابا مسلم (١) ليقود دعواتهم فى خراسان ، ونجح أبو مسلم فى الوقيعة بين القبائل اليمنية والقبائل المغربية ، واخفقت كل الجهود التى بذلها الوالى الأموى نصر بن سيار فى توحيد الصف العربى

---

(١) . . نشأ ابو مسلم الخرسانى فى فرقة الخطرنية - فى خراسان - وهى القرية التى عاش فيها المختار الثقفى . الذى نادى بمبادىء غريبة عن الاسلام وكانت هناك صلة بين حركة المختار وأنصاره الشيعة وبين الدعوة العباسية ذلك أنه من بين أصحاب بن الحنيفية ظهر اصحاب ابنه وهم الهاشمية ولم يقض على المختارية فى الكوفة بقتل المختار بل هم باقون والآراء التى كان يكتمها الهاشمية كما يذكرها الشهرستانى ، لا تختلف عن آراء الشيعة وتآمر العباسيين يشبه تأمر الشيعة شبها تاما ، واستندت دعوة الهاشميين الى الموالى من الاعاجم . وصارت موجهة ضد الدولة الاموية ، اذن فالشبه بين الدعوتين يشمل كل النقاط . فيشمل الأداء وطريقة الدعوة ومقرها والخط الذى كونته .

ولم يجد بدا من الفرار ودخل أبو مسلم مرد عاصمة خراسان ، وقتل نحو ستمائة عربى من بينهم عبد الله بن معاوية(١) وقد اعتمد أبو مسلم فى حركته على الموالى الأعداء الألداء للاسلام . حتى اذا سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية . أصبح أبو مسلم فى مقدمة المحركين لها والمنفذين لسياسة الدولة .

قام أبو مسلم بدور كبير فى الصراع الذى قام بين أبى جعفر المنصور بعد توليه الخلافة وعمه عبد الله بن على حول الخلافة ، وكانت سياسة أبى مسلم دائما هى بث روح التفرقة ، ولذا قال المنصور عن عمه ـ لا تخفه فانا أكفيكه ان شاء الله انما عامة جنده من أهل خراسان وهم لا يعصونني (٢) .

وأقدم عبد الله بن على على خطأ كبير . اذ قتل الجند الخراسانيين فى جيشه خشية انضمامهم الى أبى مسلم ، مما أضعف جيشه من جهة وأثار مشاعر الجند من جهة أخرى ، وكان أبو جعفر المنصور يدرك خطورة استفحال أبى مسلم وكان يقول لأخيه ابى العباس دائما : (أطعنى وأقتل أبا مسلم فوالله ان فى رأسه لغدرة) ولكن أبا العباس كان يخشى الاقدام على هذه الخطوة لما يعرفه من نفوذ أبى مسلم فى خراسان . ولما رأى أبو جعفر المنصور خطورة بقاء أبى مسلم على قيد الحياة أقدم على قتله ، ولأنه

---

(١) .. ابن جرير الطبرى جـ٩ من ١٠١ وما بعدها

(٢) .. حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام جـ٢ صـ٨٦

نفسه بين طبرستان والرى ولم تعشر ثورة سنباذ سوى سبعين يوما (١)

ثم ظهرت ثورة أخرى باسم (حركة اسحق التركى) فى بلاد ما وراء النهر حيث دعا أهلها للانتقام لمقتل أبى مسلم . فالتفت حوله عدد كبير من الاتراك ، ونادى اسحق بعقائد الفرس المجوسية القديمة وادعى انه (نبى أنقذه زرادشت) وانه (يخرج حتى يقيم الدين لهم) (٢) وزعم ان أبا مسلم لم يمت بل اختفى فى الجبال القريبة من الرى ، وانه سيعود مرة أخرى ليقود اتباعه ليحقق آمال مواطنيه ولكن اسحق لم ينجح فى حركته .

ومن حركات الزندقة التى خرجت للثأر لابى مسلم حركة المقنع الخراسانى الذى زعم أنه حى لم يمت ، وأنه (أوشيد رياما) أحد أعقاب زرادشت الذى ينتظر المجوس ظهوره ، كما ينتظر المسلمون المهدى المنتظر . حتى أن تلك الطوائف لم تعتقد بموت ابى مسلم بل كانوا ينتظرون رجعته ليملأالارض عدلا ، وقد تحدثنا عن هذه الحركة فى المبحث الثانى (فرق الزندقة) ونوجز هذه الحركة بأن المقنع نادى بنظرية " تناسخ الأرواح " كما ادعى الالوهية ، وطلب من اتباعه أن يعبدوه ويسجدوا له .

وعمل المقنع على هدم اركان الاسلام فأسقط الصلاة والصوم والحج وأباح لاتباعه ان يتبعوا تعاليم مزدك التى تدعو الى الاباحية والفوضى

---

(١) . . ابن جرير الطبرى ـ تاريخ الطبرى جـ٢ صـ١٤١

(٢) . . ابن النديم ـ الفهرست صـ٨٨٣

الاجتماعيـــة وقـد قضـى عـلى حـركـتة هـــذه الخليفـة العبـاسـى (المهدى) حـيث بعـث بعـــده جيـوش استولـت عـلى كثـير من قـلاع وحصـون المقنعية فلمـا عـرف المقنـع قـرب نهـايتـه أخـذ سـرا شـرابـا مسـمومـا وطـلب مـن اتبـاعـه أن يشـربوا منـه وقـال لهـم أنـا صـاعـد الـى السـمـاء ، فمـن أراد أن يصحـبنى فليشـرب من هـذا الشـراب ، ولـم يفطـن اتبـاعـه الـى حقيقـة الشـراب السـموم فشـربوا منـه وماتـوا وألقى المقنـع بجثثهـم فى النـار وبجـثث نسـائـه وأولاده ، وألقى بنفسـه أخـيرا حـتى لا يظفـر بـه العباسيـون وهـكـذا قضـى عـلى المقنـع وكثـير من اتبـاعـه (١) وبعـد نجـاح المهـدى فى القضـاء على حركـة المقنـع لـم يقـم الزنـادقـة بحركـات ثوريـة مسـلحة طـوال عهـود الخلفـاء الهـادى والرشـيد والامـين ، وان كـانـت تعـاليم الـزنـادقـة كـامنـة فـى القـلوب والعـقـول ، واعتنقهـا كثير من عامة النـاس . وكـانـت أول حـركـة قـام بهـا الزنـادقـة بعـد القضـاء عـلى حـركـة المقنـع الخراسـانى هـى حـركـة بـابـك الخـرمى .

وكـانت هـذه الحـركـة من أخطـر حـركـات الـزنـادقـة الـتى شـهدهـا العصر العبـاسى الأول حـيث عـاشـت هـذه الحـركـة أكـثر من عشـرين عـامـا أقلقـت مضـاجع العباسيين فى عهـد المـأمون والمعتصـم .

وقـد ذكـر البغـدادى عن هـذه الحـركـة وانهـا تنقسم الـى صـنفين بقولـه " فـى ذكـر اصحـاب الاباحيـة من الخـرميـة ، وبيـان خـروجهـم من جملـة فـرق

---

(١) .. ابن جرير الطبرى ـ تاريخ الطبرى جـ٦ صـ٣٧٤

الاسلام فهؤلاء صنفان : صنف منهم كانوا قبل الاسلام كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات ، وزعموا أن الناس شركاء في الاموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء الى أن قتلهم أنو شروان في زمانه ، والصنف الثاني الخرمية ظهروا في دولة الاسلام وهم فريقان بابكية ومازياريه ، وكلتاهما معروفة بالحمرة (١) .

والذى يهمنا في هذا المبحث هو شخصية بابك والصنف الذى ينسب اليه ، حيث نجح بابك في احياء تعاليم مزدك وجمع شمل الخرمية المزدكية وجعلها تدخل في دور جديد .

وقد اختلف المؤرخون في أصله ونسبه ، فيرى بعضهم أنه من سلالة أبي مسلم وأن هدفه من حركته هو الثأر لأبي مسلم من العباسيين ويرى المسعودى(٢) أن بابك رجل فارسي الاصل بدأ يمارس زعامته لطائفة الخرمية ، واستغل اقدام العباسيين على قتل أبي مسلم الخراساني في اثارة مشاعر الفرس ضد العرب ، فدعا الى تقديس أبي مسلم ، ولعن الخليفة جعفر المنصور وكذلك دعا الى احياء عقيدة مجوسية تقول بالنور والظلمة ، وتدعو الى شيوعية هدامة وفوضى خلقية شاملة ، حيث رفض هؤلاء الفروض الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة ، وأباحوا لأنفسهم شرب الخمر ، ونادوا باباحة المحرمات والشيوعية في النساء ، وبذل هؤلاء ما يستطيعون

---

(١) .. البغدادى - الفرق بين الفرق ص ٢٦٦

(٢) .. المسعودى - مروج الذهب جـ ٤ ص ٥٥

من جهد للقضاء على الاسلام قضاء مبرما ، وأقدموا على قتل من يخالفهم من المسلمين وبثوا الرعب فى القلوب(١) .

ومن الاخطار السياسية لهذه الطائفة انها كانت خطرا يهدد الدولة العباسية حيث أراد هؤلاء تحويل السلطان من العرب الى الفرس ، واتخذت الزندقة والالحاد سبيلا لذلك .

واتخذت الخرمية من أسماء آل البيت ستارا لتحويل عواطف الناس عن العباسيين وذلك دون أن يشعر أى فرد من تلك الطائفة بأى ميل لأبناء البيت .

تحدث المؤرخ المسعودى على أثر مقتل أبى مسلم فى ظهور تعاليم الزندقة وخاصة فرقة الخرمية التى سبق الحديث عنها فقال : " ولما نما قتل أبى مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهى الطائفة التى تدعى بالمسلمية القائلون بأبى مسلم وامامته ، وقد تنازعوا فى ذلك بعد مماته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ الأرض عدلا ، وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة ، وهؤلاء يدعون بالفاطمية ، وأكثر الخرمية ببلاد خراسان وأذربيجان والرى واصبهان ، وأكثر هؤلاء فى القرى والضياع ، وسيكون لهؤلاء عند أنفسهم شأنا وظهورا فى أعوانه وينتظرونه فى المستقبل من الزمان ويعرفون هؤلاء بخراسان

---

(١) .. المسعودى

وغيرهـا بالباطنيـة "(١) .

وهـكذا قـام أبو مسـلم الخرسـانى بـدور كبيـر فـى ظـهور حركـات الزنـدقة فى العصـر العباسـى الأول .

وكآخـر سـلسلة لحركـات الزنـدقة فـى العصـر العباسـى الاول حركـة المـازيـار والافشـين واللتـان تعتبران فرعـا من فـروع حركـات الخرميـة الـتى عملـت عـلى احيـاء تعـاليم مزدك المجوسـية الغوضويـة .

والمـازيـار رجـل أعجمى اسـمه الأصـلى مازيار بن قارن بن بندارهرمس(٢) تظـاهـر بالاسـلام وتسـمى محمـدا - ليخفى أغراضـه السـيئة ، حيث قـد ظـل طـوال خـلافـه المأمون ينظـم صـفوف اتباعه فى طبرستان ، وانتهز فرصـة انشـغال الـدولـة العباسـية بحـرب بـابك الخـرمى ، فاتصـل بالأفشين سـرا وبـدأ حركتـه بـأن قطـع ما كـان يرسـله من الخـراج الـى الخليفة العباسى واكـره النـاس عـلى البيعـة لـه ، وأخـذ منهـم الرهـائن كـى يضمن وفـائهـم لـه ، وكـانت حركـة المازيـار هـذه من أخطـر حركـات الـزنـدقـة ، ولـكن آراؤه الخبيثـة وعـدم كفـايتـه الحربيـة واعتـداؤه عـلى مسـاجد المسـلمين وآثـارهـم عجـلت بفشـلـه بالاضـافـة الـى خيـانـة اتبـاعه لـه وتخليهـم عنـه لظلمـه وبغيـه .

لكـن الحركـة كشـفت عن مؤمـرة أخـرى كـان يدبرهـا الأفشـين للقضـاء عـلى الـدين الاسـلامى واعـادة الـدين الفارسى مكانـه .

---

(١) .. المسـعودى - مروج الـذهب جـ٣ صـ٢٠٥-٣٠٦

(٢) .. المرجـع السـابق جـ٤ صـ٦١

والافشين هذا هو ابوحميد ربن كاوس ، نشأ فى بيت ملك وشب فى احضان أسرة تعتنق دينا غير الدين الاسلامى ، وأبى والده أن يخضع لحكم العرب ، ولم يتم خضوعه الا فى عهد المأمون ، ولم يلبث أن انقلب عليه وفى أثناء هذا الاخضاع دخلت هذه الاسرة فى الاسلام ، ولكنه لم يكن عن ايمان حسن ولا عقيدة صالحة ، كما أنهم استثقلوا حكم العرب ، ولما ولى المعتصم لجأ الى الأفشين لاخضاع حركة بابك الخرمى ، وكان المأمون قد ولاه من قبل قيادة الجيوش فى بعض الثورات ، فأحرز نصرا كبيرا (١) وكان أثناء حروبه مع بابك يهرب ما يصل اليه من أموال خفية وعلم بذلك عبد الله بن طاهر (٢) فأخبر الخليفة .

وفى هذا الأثناء علم المعتصم بالخلاف الذى نشب بين المازيار وعبد الله بن طاهر ، وعمل اعداء الأفشين على الوشاية به لدى المعتصم حتى قبض عليه واتهمه (٣) بعدة تهم حاكمه المعتصم عليها بحضرة وزيره محمد بن عبد الملك الزيات الذى ناظر الأفشين مع اسحق بن ابراهيم ، وهذه التهم هى :

التهمة الاولى : ان الأفشين عمد الى رجلين أحدهما امام والآخر مؤذن كانا قد وجدا بيتا فيه أصنام فأخرجا الاصنام وحولاه مسجدا فضربهما الأفشين حتى عريت ظهورهما من اللحم .

---

(١) .. ابن جرير الطبرى - جـ ١٠ ص ٢٠٦-٢٨١-٢٨٢

(٢) .. هو عبد الله بن طاهر بن الحسين ولاه الخليفة العباسى المعتصم امرة خرسان .

(٣) .. المستند السابق جـ ص ٢٦٦

قال عبد الملك الزيات للأفشين أتعرف هؤلاء ؟ قال الأفشين نعم هذا مؤذن وهذا امام بنيا مسجدا فضربت كل واحد منهما ألف صوت وذلك أن بيني وبين ملك السعد شرطا أن اترك كل قوم على دينهم فوثب هذان على بيت كان فيه أصنام فأخرجهما وجعلاه مسجدا فضربتهما على هذا .

التهمة الثانية : قال بن الزيات ما تقول فى كتاب عندك قد حليته بالذهب والجوهر فيه الكفر بالله تعالى ؟

قال الأفشين : ذلك كتاب ورثته عن أبى فيه من آداب العجم والكفر فكنت آخذ الآداب واترك الكفر ووجدته محلى فلم أجنح الى أخذ الحلية منه وما ظننت أن هذا يخرج من الاسلام .

التهمة الثالثة : اتهم بأكل لحم المخنوقة وعمل اتباعه على أكلها ويزعم أنها أرطب لحما من المذبوحة .

التهمة الرابعة : تقدم المازيار ، فسأل الأفشين هل كاتبت هذا ؟

قال : لا : وقال للمازيار : هل كتبت اليك ؟

قال المازيار نعم ، كتب أخوه الى أخى (قوهيار) أنه لم يكن من ينصر هذا الدين الابيض غيرى وغيرك وغير بابك : فأما بابك فانه لحمقه قتل نفسه ، ولقد جهد لأصرف عنه الموت فأبى لحمقه الى أوقعه ، فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة :

العرب والمغاربة والأتراك . والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسره واضرب رأسه ، والمغاربة أكلة رأسه والاتراك انما هي ساعة تنفد سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ، ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم قال الأفشين هذا يدعى أن أخي كتب الى أخيه وهذا لا علاقة لي به ولو كتبت هذا الكتاب اليه لاستطلته السّ ووثق بي ثم آخذه بقفاه واحظى به عند الخليفة كما حظي عبد الله بن طاهر عند ذلك زجره ابن ابي دوود (قاضي المعتصم) وقال له أطهر أنت ؟ قال الأفشين : لا

قال بن ابي داوود : فما منعك من ذلك وبه تمام الاسلام قال الأفشين : أوليس في الاسلام استعمال التقية ؟؟ قال : بلى الى أن قال ابي داوود : قد بان لكم أمره ، وأمر بحبسه ، أما المعتصم فقد أمر بقطع الطعام والشراب عنه الا القليل حتى مات وقد وجد في بيته تمثال انسان من خشب عليه حلية كثيرة وجواهر ، وفي اذنيه مجران مشتبكان عليهما ذهب ، كما وجدوا في بيته كتابا من كتب المجوس .

وبعد موته تم صلبه حتى يراه الناس ، ثم أحرق بعد أن القيت عليه الاصنام " زعموا انها حطت اليه ، وأضرمت النار فأتت على الجميع"(١)

---

(١) .. تاريخ الطبري جـ١٠ صـ ٣٦٥ وما بعدها

كان هذا عن أهم حركات الزنادقة الذين ثاروا على الدولة العباسية وأظهر العداء للاسلام بثوراتهم المسلحة التى كانت مركزة على شرق المملكة الاسلامية فى عهد الدولة العباسية الاولى .

ونعرض الآن لنوع آخر من الزندقة والتى تعد مظهرا من مظاهر الزندقة الفكرية التى دعا اليها رجال الفكر والأدب والعلم والكتاب الذين ظلوا رغم اسلامهم يكنون الاخلاص والحنين لدينهم القديم وحضارتهم الفارسية وكان هؤلاء الزنادقة أشد خطرا على الاسلام من الزنادقة أصحاب الثورات ، لأنهم كانوا لا يجهرون بعدائهم للاسلام ، ولا يعلنون الحاد هم وانما يدعون اليه سرا ويتخذون له الوسائل المستترة الملتوية ، وينفثون سمومهم فى المجتمع الاسلامى .

وكان كثير من هؤلاء الزنادقة مقربين الى الخليفة ، يغدق عليهم النعم والهبات ، وكان موقفهم يختلف باختلاف شخصية الخليفة وباختلاف الظروف المحيطة بالخلافة .

وقد ظهر هذا النوع من الزندقة فى مركز الخلافة وسلطان الدولة والأكثرية العربية فجعلهم يتظاهرون بالاسلام خوفا على حياتهم . وأكثر هؤلاء الزنادقة كانوا فى عهد الخليفة المأمون حيث أصبحت بدعة متفشية لتساهل المأمون وحبه للشعراء الماجنين من الزنادقة ، فكان بعض الناس يتخذون من الزندقة

نوعا من الظرف(١) حتى فى زمن المهدى الذى عرف بشدته على الزنادقة جرى المثل " أظرف من الزنديق "

كما كانت الزندقة وسيلة من وسائل اللهو ، مقلدين فى ذلك الشعراء والأدباء الماجنين الذين اشتهروا بالزندقة من أمثال صالح بن عبد القدوس وبشار بن برد وحماد الراوية وحماد عجرد وابن نواس ونحوهم . وقد عرفوا جميعا بأناقة الملبس ونظافته وفصاحة اللهجة وظرف العبارة وقد اتخذوا هذا دليلا على زندقتهم .

وكان انشغال الخلفاء العباسيين باخماد الثورات الخارجية من حركات الخوارج والعلويين ، وغارات الروم ، وثورات الزنادقة فى الولايات الشرقية - ولا سيما خراسان - والتى استنفذت الكثير من جهد الخلفاء سببا فى استفحال أمر هؤلاء ، بالاضافة الى قرب هؤلاء من الخلفاء كل ذلك حال دون معرفة حقيقتهم وظهور زندقتهم ، الامر الذى حال دون تتبع الخلفاء لهم الا ما كان من بعضهم من وضع الكتب فى الرد على هؤلاء الزنادقة وابطال مزاعمهم .

وليس من شك فى أن هؤلاء الزنادقة قد تركوا اثرا ملموسا فى الدين والشعر والأدب ، أما أثرهم فى الدين فقد أحدثوا معانى جديدة فى تفسير لغة القرآن وساعدوا على نشر مبدأ التأويل

---

(١) . . ابوالفرج الاصفهانى - الاغانى جـ ١٧ صـ ١٥

واتخذوه وسيلة للطعن فى كتاب الله ، كما أنهم نشطوا فى وضع الاحاديث والدس فيها . ومن ناحية أخرى انتشر بسببهم علم الكلام ، واشتد الجدل بينهم وبين العلماء والفقهاء ، فكانت حركة غزيرة من التأليف والمناظرات ، فوضعت الكتب الكثيرة فى الرد على الزنادقة وأهل الالحاد أما عن تأثيرهم فى الأدب والشعر ، فقد ساعدهم حذقهم للعربية وحفظهم الأشعار وأخبار العرب على صنع الاخبار والاشعار الزائفة التى تتفق مع نزعتهم وتؤيد منطقهم ، وقد أدخلوا أيضا الروح الفارسية فى الشعر ونشروا المجون واللهو ، وحببوا المحارمات الى الناس بأشعارهم الرقيقة وأدبهم المستطرف ، مما كان له أكبر الأثر فى نفث الزندقة سمومها فى نفوس الناس ، وزرع بذور الشك فى القلوب الضعيفة وخلاصة القول : أنه بالرغم من المظهر الدينى الذى اتخذته حركات الزندقة فقد كان معظمها يهدف الى أغراض سياسية قومية . وذلك لعلمها أن الدين هو الوحدة التى تربط بين المسلمين جميعا برباط لا تنقصم عراه ، فاذا استطاعوا النيل من هذه الوحدة الدينية ، استطاعوا أن يبلغوا أغراضهم السياسية حيث كانت معظم فرق الزنادقة تهدف من ورائها الى مآرب سياسية كانت تدفعهم الى الثورة وغرس بذور الفكرة الاستقلالية التى تحققت بعد قليل بقيام الدويلات المستقلة فى العصر العباسى الثانى .

المبحث الثالث :

الجهود المبذولة فى القضاء على الزندقة :

جدّ الخلفاء فى الدولة الأموية والعباسية فى ملاحقة الزنادقة والقضاء على ثوراتهم التى كانت تشكل خطرا على الدولة الاسلامية ، وذلك لما يشكله هؤلاء الزنادقة من خطر على الدين عن طريق التشكيك فى المبادىء الاسلامية تارة وعن طريق احياء التعاليم الفارسية تارة أخرى .

ولما كانت فى العصر الاموى مستترة وراء الصراع بين العرب والفرس وغيرهم من الموالى ، فانه لم يكن هناك جهد مستقل فى مكافحة هؤلاء والقضاء عليهم الا ما نراه من الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك فى أمر الجعد بن درهم حيث أمر خالد بن عبد الله القسرى بقتله حينما ظهر له أمر زندقته .

وكذلك القضاء على ثورة الأبلق من الروندية الذى زعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم انتقلت الى على بن ابى طالب ثم الى الأئمة واحدا واحدا ، وقد قتله أسد بن عبد الله القسرى مع كثير من اتباعه ، وكذلك قتل أسد بن عبد الله القسرى عمار بن يزيد الذى وجهه بكير بن ماهان الى خراسان واليا على شيعة بنى العباس فنزل وغيّر اسمه وتسمى بخداش وأظهر

دين الخرمية ، ولما بلغ خبره الى أسد بن عبد الله القسرى أحضره وقتله سنة ١١٨ هـ (١) .

وكذلك القضاء على ثورة المختار بن عبيد الثقفى أننا ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق ، ولم يقتصر اهتمام الأمويين فى القضاء على هذه الحركات فحسب بل اجتهدوا فى القضاء على كل ثورة انضم اليها هؤلاء الموالى ، كثورة عبد الله بن جارود والتى تعتبر أول ثورة فارسية ، وكذلك ثورة عبد الرحمن بن الاشعث ( ) وقضوا على ثورة يزيد بن المهلب الذى انضم اليه الموالى الفرس ، وكذلك القضاء على ثورة الحارث بن سريج التى أيدها الموالى .

وأيا كان الأمر فلم يكن هناك جهد واضح فى القضاء على الزنادقة فى هذا العصر لانها كانت مستترة ولم تظهر بصورة واضحة الا فى العصر العباسى .

أما عن الجهود المبذولة لمكافحة الزندقة فى العصر العباسى فنجدها تتمثل فيما قام به الخليفة المهدى الذى أنشأ ديوانا خاصا سماه ديوان الزنادقة ، ويعتبر هو أول من نظم هذه الدار

---

(١) .. أبو جعفر محمد جرير الطبرى - تاريخ الطبرى جـ٨ ص٢٢٨-٢٢٩

(٢) .. المسعودى - مروج الذهب ص٢٧٢

التى من شأنها تتبع الزنادقة وقتلهم حيث كان يستتيب من اتهم بالزندقة فان تاب والا قتل .

هذا وقد عين المهدى رجلا سماه صاحب الزنادقة تولى أمر متابعتهم واسمه " عمر الكوذانى " ولما مات عين مكانه محمد بن عيسى بن حمدويه الذى قتل من الزنادقة خلقا كثيرا .

جاء فى الأغانى " لما نزل المهدى بالبصرة كان معه حمدويه صاحب الزنادقة فدفع اليه بشارا وقال : اضربه ضرب التلف " .

هذا وقد جد المهدى فى طلب الزنادقة حتى انه كان يقتل على الظنة كل من رمى عنده بالزندقة ويمزق اجسادهم شر ممزق .

جاء فى مروج الذهب أن المهدى " أمعن فى قتل الملحدين والمداهنين لظهورهم فى أيامه واعلانهم باعتقادهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره ، وترجمه من الفارسية والفهلوية الى العربية ، وما صنف فى ذلك ـ ابن ابى العوجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع ابن ايماس من تأييد المذاهب المانوية والدرحيانيه والمرقوشية ، فكثرت بذلك وظهرت آراؤهم فى الناس " .

---

(١) .. ابو الفرج الاصبهانى جـ ١٧ . صـ ٩٨

وليس أدل على اهتمام المهدى بأمر الزنادقة وعظه على التنكيل بهم والقضاء عليهم من وصية ابنه موسى الذى اعتلى العرش من بعده ولقب بالهادى وفى ذلك يقول الطبرى (١) " ان المهدى قال لموسى يوما وقد قدم اليه زنديق فاستتابه فأبى أن يتوب ، فضرب عنقه وأمر بعلبه : يابنى اذا صار لك الأمر فتجرد لهذه العصابة - يعنى اصحاب مانى - فانها فرقة تدعوا الناس الى ظاهر حسن - كاجتناب الفواحش - ثم تخرجها من هذا الى عبادة اثنين ، أحدهما النور والآخر الظلمة ... الى أن قال : فاذا رفع فيها الخشب وجرد السيف وتقرب بأمرها الى الله لا شريك له . فقال موسى : بعد أن مضت من خلافته عشرة أشهر أما والله لان عشت لاقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك فيها عينا تطرف " .

ولم يقصر الخليفة المهدى أمر مكافحة الزندقة على ديوان الزنادقة بل لجأ الى طريقة ناجحة أخرى ، فقد كان بعض الذين اعتنقوا مبادئ الزندقة من جهلاء الناس الذين خدعوا بتعاليمها التى ترضى الشهوات والأطماع فأراد المهدى توعيتهم ومساعدتهم على الطريق القويم واقناعهم بفساد الزندقة فألف المهدى هيئة علمية لمناظرتهم وأمر بتأليف الكتب التى تنقض

---

(١) .. ابن جرير الطبرى - تاريخ الطبرى جـ ٦ صـ ٣٩٩

تعاليم الزندقة وتبيين فسادها ومناقضتها لتعاليم الاسلام مما أدى الى عودة المنحرفين الجهلاء الى حظيرة الاسلام.

تحدث المؤرخ المسعودي (١) عن هذا المنهج العلمي الذي انتهجه المهدي فقال " وكان المهدي أمر الجدليين من أهل البحث ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وازالوا شبه الحدين " .

ولقد ساهم العلماء في خطة التوعية والارشاد التي خطها المهدي ، وفي مقدمتهم واصل بن عطاء زعيم المعتزلة ، الذي اهتم بتفنيد التعاليم المجوسية وقام بدور كبير في مناهضة إلحاد بشار بن برد ، وقام بوضع كتاب فيه ألف مسألة للرد على المانوية ، وبعث واصل ببعض أصحابه الى بلاد خراسان لكشف تعاليم الزندقة كما كشف عمرو بن عبيد ، تلميذ واصل عن زندقة الشاعر صالح بن عبد القدوس مما أدى الى محاكمته وقتله .

وفي عهد الهادي نفذ وصية أبيه التي ذكرناها أنفا ، ففي السنة التي تولى الخلافة فيها بدأ بتتبع الزنادقة وبدأ بقتل يزدان بن باذان ، وكان كاتبا ليقطين أحد رجال المنصور وبلغ الهادي عنه أنه يسيء الى الاسلام.

---

(١) .. المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٢٢

وروى الطبرى (١) أن يزدان هذا حج ، فرأى الحجاج يهرولون أثناء طوافهم فقال ما أشبههم الا ببقر تدوس فى البيدر (٢) ، وأمر الهادى باعداد ألف جذع لصلب جثث الزنادقة عليها ، وقال لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك فيها عينا تطرف .

كما أنه أمر بقتل يعقوب بن الفضل الذى نسبه الى الحارث بن عبد المطلب . وسبب قتله أنه أقر أمام المهدى بالزندقة فقال المهدى : لوكان ما تقول حقا لكنت حقيقا أن لا تغضب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا محمد ما كنت أنا والله لولا أنى جعلت نفسى أن لا أقتل هاشميا لقتلتك ، ثم قال للهادى أقسمت عليك اذا وليت هذا الأمر لتقتلنه ثم حبسه فلما مات المهدى قتله الهادى .

كما عهد المهدى الى ابنه الهادى بقتل " ولد لداود بن على بن عبد الله بن عباس كان زنديقا ، فمات بالحبس قبل تولى الهادى الحكم .

واستمر نشاط ديوان الزنادقة فى عصر الخليفة هارون الرشيد وقد بدأ الرشيد عهده بأن أمن من كان هاربا أو مستخفيا الا نفر من الزنادقة ، ولم يقتصر الأمر على الزنادقة بل بتتبع كل من يقرأ كتب الزنادقة (٣) .

---

(١) .. ابن جرير الطبرى ـ تاريخ الطبرى جـ٦ ص٤٠٦

(٢) .. بيدر الطعام : كوفته . والبيدر الوضع الذى يداس فيه

(٣) .. ابو الفرج الاصفهانى ـ الاغانى جـ١٢ ص٨٥

وكان من أثر نشاط ديوان الزنادقة فى تتبع الزنادقة . أن لجأ بعضهم فى تبرئة أنفسهم من الاتهام بالزندقة والى كشف ستر خصومهم من المقتنعين بتعاليم الزندقة ، بل أن الشاعر أبا نواس لم يجد حرجا - زعم زندقته فى أن يهجو ابان بن عبد الحميد ويتهمه باعتناق تعاليم مانى (١) .

وتابع المأمون سياسة أسلافه فى مكافحة الزنادقة فعقدت المحاكمات للزنادقة الذين يقدمهم له صاحب ديوان الزنادقة ومن هذه المحاكمات محاكمة عقدها المأمون لمحاكم عشرة من زنادقة البصرة ، اعتنقوا تعاليم مانى وآمنوا بالنور والظلمة وحاكمهم واحدا واحدا ، وكان يسأل كلا منهم عن عقيدته فيزعم أنها الاسلام ، فيظهر المأمون له صورة مانى ويطلب منه أن يبصق عليها ويتبرأ منها .

جاء فى كتاب الفهرست لابن النديم احدى هذه المحاكمات فقد أحضر المأمون أحد كبار الزنادقة ، وهو يزدان بخت - من الرى - بعد أن أمنه ، وأخذ الفقهاء والعلماء فى اقناع يزدان حتى يتخلى عن زندقته ، دون جدوى وانتهى الاجتماع بأن قال المأمون اسلم يايزدان فلولا ما أعطيناك الامان لكان لنا ولك شأن فقال له نصيحتك ياأمير المؤمنين مسموعة وقولك مقبول ، ولكنك

---

(١) .. الجاحظ - الحيوان جـ ٤ ص ١٤٤

ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم فقال المأمون أجل وأطلق المأمون سراحه (١) .

واستمر المأمون الى جانب هذه المحاكمات على السياسة التي اختطها المهدي وهي تأليف هيئة من العلماء والفقهاء لحماية المسلمين من سموم الزنادقة ، وعهد المأمون برئاسة هذه الهيئة الى يحيى بن اكثم ، وكان من ابرز علماء عصره وشكل ابن اكثم الهيئة من أربعين عالما وفقيها ورسم المأمون لابن اكثم مهمة مجلس العلماء ، ولا شك أن جمع أولئك العلماء في صعيد واحد فيه توحيد لجهودهم حتى تكون أقوى أثرا وأشد فاعلية في سد كل السبل على الزنادقة ، والقضاء على سائر حيلهم وأساليبهم الخداعة .

أما في عصر المعتصم فقد شهد أكبر محاكمة للزنادقة والمتمثلة في محاكمة (الأفشين) وقد سبق الحديث عنها ، كما شهد نشاطا واسعا قام به ديوان الزنادقة اذ قضى على البقية الباقية من اتباع بابك الخرمي والمازيار والأفشين ، مما وضع حدا لحركات الزنادقة المسلحة وأضعف من تعاليم الزندقة .

---

(١) .. ابن النديم - الفهرست ص ٤٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث

المبحث الأول : نماذج من الزنادقة

المبحث الثانى : رد الداعية الاسماعيلى على الراوندى والرازى فى نظرية النبوات

المبحث الثالث : الآثار المترتبة على الزندقة

المبحث الأول : نماذج من الزنادقة

١- عبد الله بن المقفع

تعريف

هو عبد الله بن المقفع واسمه (روزبه) واسم أبيه داذويه ومعناه صاحب العطايا لقب أبوه بالمقفع لتشنج أصابع يديه اثر تعذيبه على يد الحجاج بن يوسف اذ كان عاملا للخراج فعذبه الحجاج في مال احتجبه من مال السلطان .

ولد ابن المقفع في مدينة خور " فيروز أباد " أحد مدن فارس ، وكان قبل اسلامه زرادشتيا مجوسيا ، ذهب البعض الى أنه كان مانويا .

نشأ ابن المقفع وتربى بالبصرة من العراق وبرع في اللغة العربية وآدابها . بل صار صاحب الطريقة فيها بالاضافة الى اتقانه الفارسية وتمكن من اليونانية .

بدأ حياته كاتبا لداوود بن هبيرة وعمل بعده كاتبا لعيسى بن على عم المنصور وأسلم على يديه ، وقد اشتهر عنه الكرم والجرأة والوفاء . ولكنه بقي برغم اسلامه متهما في عقيدته وقتل بعد تعذيبه بين سنتي ٢٤٢ - ٢٤٥ بأمر من الخليفة المنصور على يد عدوه شعبان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ابن ابي صفرة عامل المنصور "

واختلف فى سبب قتله ومن بين الروايات ان ابن المقفع " أثار شبهات السلطان وشكوكه عن طريق مشاركته فى نشاط الفرس السياسى الدينى "(١)

وثمة تهمة أخرى وهى الوثيقة التى كتبها ابن المقفع واشار بها ضغينة المنصور ، اذ بالغ فيها وشدد وذلك عندما كتب وثيقة الامان التى يتعهد بها المنصور بأبى العباس عبد الله ، والتى كلف ابن المقفع بكتابتها كل من سليمان وعيسى ابنا على عمى ابى العباس(٢) . أما عن تأثر بن المقفع بمعتقدات آبائه واجداده فيقول ابن النديم(٣) عن ابن المقفع " أنه كان يعتنى بكتب المانوية ، وقد نقل الى العربية منها كتبا خص بالذكر منها كتابه ديانة مزدك " والجاحظ أيضا من المعاصرين لابن المقفع وممن أخذ عنه طريقته فى الكتابة قال عنه : " ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا متهمين فى دينهم " .

والحقيقة أن ما ذكره ابن النديم من أن بن المقفع نقل كثيرا من كتب المانوية لا يدل صراحة على الطعن فى عقيدة ابن المقفع ولا يقطع بثبوت زندقته ، كيف وقد ثبت اسلامه ولم يصرح

---

(١) .. ابن خلكان ـ معجم الادباء جـ ٢ ص ١٢٥

(٢) .. المرجع السابق

(٣) .. نقلا عن كتاب ضحى الاسلام جـ ١ ص ٢٣٥

بكفـــره أو يجـــاهـر بـــه والاهتمـام بكـتب قـوم من الاقـــوام لا يعـــنى اعتنـاقه لعقيـــد تهـم أو الاقتنـــاع بهـــا .

وقـد أكـد الجـاحـظ فـى البيـان والتـبين عنـد كلامـه عـن ابـــن المقفـع " أنـــه كـان جيـد الحكـــايـة لدعـوى القـــوم ردىء المدخـــــل فـى مواضـع الطـعن عليهـــم " . وهـــذا الكلام يفيـــد أن ابـن المقفـــع كـان يحـــاول الطـعن فى العقـــائد الفارسـية من زراد شـتيـه ومانويـــة ولكنـــه لـم يكـن يحســـن ذلـك وهـــذ يؤكـد عـدم اعتنـاقـه لمذهبهم .

ومن جهـــة ثانيـــة فلا مانـع أن يعـرف الانسـان بأفكـار قـــوم لكنـــه لا يقتنـع بهـا مع التفريق بين المعرفـة والاقتنـاع .

والتـاريخ يثبت لنـــا أن كـثير من أصحـاب الحركـــات والفـرق تشبعـوا بأفكـار لـم يقتنعوا بهـا ومع ذلـك حاربـو تلـك الأفكـــار وعملـوا عـلى هدمهـــا .

آراء عبـــد اللـــه بن المقفـع :

تتمثـل آراء عبد اللـه بن المقفـع . بموقفـه الـديـنى . تجـــــاه الاســـلام الـذى هـو الدائرة السـياسـية الدينيـة التى عـاش فيهـا وعـن الموقـف الـذى تناقلتـه أخبـــار وروايـات كثـيرة ذكرت عنـــه أنـه زنـــديق تشـــيع بالـزنـدقـة واتهـم بهـا . وتذكـر عن الخليفـة المهـدى ـ الـــذى كـان يضطهـد الـزنـادقة ـ قال عنـه انـه لـم ير كتاب زنـدقـة الا ويرجـــع

الى ابن المقفع وفى كتاب الاغانى اتهامه بأنه زنديق مفسد للناس(١) . ويتضح هذا الاتهام بالزندقة فى باب برزويه الذى اتهم ابن المقفع - بأنه أدخل عليه شيئ من عنده فى كليلة ودمنة " - والذى يقول فيه برزويه بخلو معارفنا الدينية من اليقين وقياسها على أساس غير وطيد ، وتناقض الاديان فيها .

يتحدث برزويه فى مستهل هذا الباب عن الاديان فيقول متحدثا عن شبابه " وكنت وجدت فى كتب الطب أن أفضل الاطباء من واظب على طبه ، لا يبتغى الا الآخرة . فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة " (٢)

فاشتغل بالطب ولكنه لم يرضه وشك فى قدرته على تخفيف آلام المرضى مع ما ناله من مكافأة كبيرة من الملوك " فعدت الى طلب الاديان والتماس العدل منها ، فلم اجد عند أحد من كلمته جوابا مما سألته عنه ، ولم أر فيما كلمونى به شيئا يحق لى فى عقلى أن اصدق به ولا أن اتبعه - فحاول أن يجد رضى نفسه فى التزام دين ابائه واجداده ولكنه أخفق . " فرجع الى طلب النسك ورأى ان يقتصر على عمل تشهد النفس أنه يوافق كل الاديان " وكان من بين ما دفعه الى طلب النسك

---

(١) . . ابوفرج الاصفهانى - الاغانى جـ ١٦ صـ ١٤٨-١٤٩

(٢) . . ابن المقفع - كليلة ودمنه - طبع المطبعة الاميرية سنة ١٩٣٦ صـ ٧٥ سـ ١-٣

ما رآه من " أن الدنيا كلها بلاء وعذاب ، أوليس الانسان انما يتقلب فى عذاب الدنيا من حين يكون جنينا الى أن يستوفى أيام حياته " .

فهو فى هذا النص تحدث عن الاديان ، فالرجل الذى لا يرضيه الطب يلجأ أو لا الى الاديان عسى أن يجد فيها عزاءه ، ولا يمكن أن يفهم طريقه الى النسك الا بمروره بمرحلة الاديان الايجابية ونقده لها .

ويقول برزويه عن الاديان " وجدت الاديان والملل كثيرة من أقوام ورثوها عن آبائهم وآخرين مكرهين عليها وآخرين يبتغون بها الدنيا ومنزلتها ومعيشتها ، وكلهم يزعم انه على صواب وهدى ، وان من خالفه على ضلالة وخطأ ، والاختلاف بينهم فى أمر الخلق ومبتدأ الأمر ومنتهاه ، وما سوى ذلك شديد وكل على كل مزر ، وله عدو يعيب - فرأيت أن أواظب علماء أهل كل ملة ورؤسائهم أو انظر فيما يصفون ويعرضون لعلى أعرف بذلك الحق من الباطل ، واختار الحق منه والزمه على ثقة ويقين - غير مصدق بما لا أعرف ، ولا تابع ما لا أعقل ، ففعلت ذلك وسألت ونظرت فلم أجد من أولئك احدا الا يزيد فى مدح دينه ، وذم دين من خالفه ، ما ستبان لى أنهم بالهوى يحتجون وبه يتكلمون لا بالعدل ، ولم أحد عند أحد منهم

فـي ذلـك صـفـة تكون عـدلا وصـدقـا ، يعرفهـا ذوى العـقـل ويرضى بها .

ومن اتهـام ابن المقفـع بالـزنـدقـة انـه كـان (١) مع ابن ابى العوجاء يلاحـظان الجمـع الـذين كـان يقـوم بالطـواف حـول الكعبـة ، فقـال بـن المقفـع لصـاحبـه " لا واحـد من هـؤلاء يستحق اسم الانسانية ـ الا هـذا الشـيخ الجالـس (واشـار الى جعفـر بن محمد) أما البـاقى فرعـاع وبهـائم " فهـذا الكلام يـدل على الحـاد وزنـدقـة قصدهـا ابن المقفـع ان ثبتت هـذه الروايـة عنـه . وتكملـة الروايـة (فقـام بن ابى العوجـاء الـى الشـيخ وتحـدث معـه ثم رجـع الـى صاحبـه وقـال ما هـذا بشـر وان كان فى الدنيـا روحـانى يتجسـد اذا شاء طـاهرا ويتروح اذا شاء باطنـا فهـو هـذا " ثم نتابع الروايـه (وقـال الشـيخ لـه أولا : لو كـان الامر كمـا يقـول هـؤلاء فقـد نجـوا وعطبتم ، أمـا اذا انعكـس الحـال وكـان عـلى مـا تقـولـون ـ وهـو لـيس كما تقول ـ فأنتم واياهم سواء " . . . حـينئـذ سـألـه ابن العوجـاء " رحمـك الله ايهـا الشـيخ اى شىء نقوله نحـن واى شىء يقـولـونـه هـم . ما نؤمـن بـه وما يؤمنـون واحـد " فـأجـاب جعفـر : انّى لما تقـول أن يكـون مثل مـا يقـولون ! ؟ هـم يقـولـون بالمعـاد والوعـد والوعيـد وان للسمـاء الهـا وبهـا عمرانـا بينمـا تزعمـون أن السمـاء خـراب وليس بهـا أحـد " حينئـذ اجـاب ابن ابـى

---

(١) . . عبد الرحمن بـدوى ـ تاريخ الالحـاد فى الاسلام ص٦٨

العوجاء : لوكان الامر كما تقول ، فما منع الله من الظهور لجميع خلقه ودعوتهم الى عبادته حتى لا يصبح اثنان منهم على اختلاف ، لماذا اختفى عنهم ومع ذلك أرسل رسلا ؟ لوكان قد ظهر بذاته لهم لكان ذلك أسهل الى الاعتقاد به ، فأجاب جعفر " كيف اختفى عنك من أظهر قدرته فى نفسك أنت وفى نعمائك ؟ . . .) وكان جوابا بليغا جعل ابن ابى العوجاء يقول لصاحبه " وظل يحصى لى قدرة الله التى فى نفسى والتى لم استطع رفضها حتى ظننت أن الله قد نزل بينى وبينه " .

وكذا يحاول المرحوم الاستاذ احمد أمين(١) اتهام ابن المقفع بالزندقة حين وصفه بأنه أديب مثقف ثقافة واسعة . فارسية وعربية وانه ينزع نزعة قومية لقومه من الفرس - ويحيى أمته بنشر آدابها وسياستها وتاريخها ويرى عيوب النظم الاجتماعية فى عصره فينادى باصلاحها ، وتطبيق الصالح من النظم الفارسية . .

ثم يتساءل المرحوم احمد أمين عن منزلة الاسلام من قلب ابن المقفع ويجيب على السؤال فيقول فخيرا ألا نحاول الاجابة ، فنحن لا نستطيع بمن بعدت بيننا وبينه القرون ، وانغمس فى السياسة واحزابها وحارب وحورب بها ، فلنكله الى الله ، فالله خير الحاكمين " انتهى كلامه . . . .

---

(١) . . ضحى الاسلام جـ ١ صـ ٢٣٧-٢٣٨ بتصرف

١ـ ابن الـراونـــدى

هــو ابو الحســن احمد بن بن يحيى بن اســحاق الـراونـدى " من أهـل مروالـروز) وراونـد بفتـح الـراء والـواو بينهمـا ألــف ـ قريـة من قــرى خراســان بنـواحى أصبهـان من متكلمـى المعـتزلـة . لـم يـكن أحــذق منــه بالكـلام ولا أعـرف بد قيــقة وجليـلة ، وكـان فى أول أمره حســن السـيرة . ثـم انسـلخ من ذلـك كلــه لاسـباب عرضـت لـه وكـان علمـه أكــبر من عقــلــه .

قـال ابن خلكـان فى وفيـات الاعيـان (١) : " أبوالحسـن احمــد بن يحيى بن اسحاق الراونـدى العـالم المشـهور لـه مقـالـة فى عــلـم الكـلام ، وكـان من الفضـلاء فـى عصـره ، ولـه من الكـتب المصنفـة نحـو مائـة واربعــة عشـر كتـابا ، منهـا كتـاب فضيحـة المعـتزلـة ، وكتــــاب التــاج وكتـاب الـزمـردة ، ولـه مجـالـس ومنـاظـرات مع جمـاعـة مـن علمـاء الكـلام ، وقـد انفـرد بمذاهـب نقلهـا أهـل الكـلام عنـه فى كتبـه " وقــد اتفــق عـلى أنــه ولـد فيمـا بين عـامى ٢٠٥ الى ٢١٥ هـ واختلــف فـى وفـاتــه فقيـل انــه توفى ٢٤٥هـ (٢) وعـلى هــذا يكـون عمـره أربعــين ســنـة ، وقيـل انـه مـات سـنة ٢٩٨ ـ فيكون عمره على هـذا أكثر من ثمانين عــامـا .

والـيــه تنسـب فرقـة الراونـديـة ، كـان فى الاصل معـتزليـا ، ثــم

---

(١) .. ابن خلكـان ـ وفيـات الاعيان جـ ١ صـ ٩٤

(٢) .. المسـعودى ـ مروج الـذهـب جـ ٧ صـ ٢٣٧

انشق على المعتزلة فأخرجوه من دائرتهم ، وابعدوه من مجالسهم فمال الى الشيعة ، واصبح خصما لدودا للمعتزلة وأخذ في نقض مذهبهم والتشنيع (١) به الا ان هذه الفترة لم تدم طويلا .

حيث دخل في زمرة هؤلاء الذين يبطنون الزندقة ، ويبغون هدم قواعد الاسلام ، فمن زندقته أنه دعا الناس الى تعاليم فاسدة " فزعم ان الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت الى علي بن ابي طالب ، ثم في الأئمة واحدا واحدا . حتى صار كل واحد منهما الها " ودعا الى نظرية الحلول والتناسخ ، كما دعا الى ان الايمان هو الدين ، ولا داعي الى التمسك بفرائض الاسلام ، كما أباح لاتباعه المحرمات والملذات ليشجعهم على الانضواء اليه فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويبيح لهم المحرمات .

ظهرت هذه التعاليم في أواخر العصر الأموي ، حتى اذا علم به الوالي الاموي (اسد بن عبد الله القسري) قبض على كثير من اتباعه وقتلهم وصلبهم ، الا أن ابن الراوندي استمر يمارس نشاطه سرا ، ولم يثنه ذلك عن نشر افكاره ، وبعد قيام الدولة العباسية حاول هو واتباعه التقرب من الخليفة المنصور ، حيث

---

(١) .. الخياط كتاب الانتصار ص ١٠٣ ، ص ١٥٠ " فحملة الغيط الذي دخله على ان مال الى الراقصة .

(٢) .. الطبري جـ٥ ص ١٤٦

زعموا انه ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم ولقيت هذه الدعوة قبولا من الناس ، وقصدت جماعة من الراوندية قصر المنصور واخذوا يطوفون حوله ، ويقولون هذا قصر ربنا ، فقاتلهم المنصور حتى افناهم .

واختلف فى سبب الحاد ابن الراولندى فقيل لفاقة لحقته وقيل تمنى رياسة ما نالها فارتد والحد ، فكان يصنع هذه الكتب للالحاد ، وصنف لليهود والنصارى والثنوية وأهل التعطيل قيل : وصنف " الامامة الرافضة وأخذ منهم ثلاثين دينارا ، ولما ظهر منه ما ظهر قامت المعتزلة فى أمره ، واستعانوا بالسلطان على قتله فهرب ولجأ الى يهودى فى الكوفة ، وحكى عنه لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على حال حتى انه صنف لليهود كتاب البصيرة ، ردا على الاسلام لأربعمائة درهم أخذها ، فلما قبض المال رام نقضه حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النقض(١) .

آراء ابن الراوندى :

أنكر ابن الراوندى الرسالات السماوية والنبوات ، فقد جاء فى الرسالة التى عملها ابن الراوندى وسماها الزمردة قوله : " ان البراهمة يقولون انه قد ثبت عندنا وعند

---

(١) .. الخياط - كتاب الانتصار ص ٣٧

خصومنا أن العقل أعظم نعم الله على خلقه ، وانه هو الذى يعرف به الرب نعمه ومن أجله صح الأمر والنهى والترغيب والترهيب ، فان كان الرسول يأتى مؤكدا لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والخطر ، فساقط عن النظر فى حجته ، واجابة دعوته ، اذ قد أغنينا بما فى العقل عنه والارسال على الوجه خطأ وان كان بخلاف مافى العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والخطر فحينئذ يسقط عن الاقرار بنبوته .

ومن جملة الحاده فى رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام أتى بما كان منافرا للعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة - ورمى الجمار - والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر والعدتين حجرين لا يسمعان ولا ينفعان ولا يضران ، وهذا كله مما لا يقتضيه عقل فما الفرق بين الصفا والمروة الا كالفرق بين أبى قبيس وحرى(١) وما الطواف على البيت الا كالطواف على غيره من البيوت " ، ثم يقول : " ان الرسول شهد للعقل برفعته وجلاله ، فلم أتى بما ينافره ان كان صادقا" وقال الملحد فى شأن المعجزات والدفع فى وجوهها " ان المخاريق شتى ، وان فيها ما يبعد الوصول الى معرفته

---

(١) .. جبلان عكة

ويفرق من المعارف لدقته ، وان أورد اخبارها بعد ذلك عن شرذمة قليلة يجوز عليها المواطأة على الكذب " .

أما قوله عن القرآن فهو " انه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها وتكون عدة من تلك القبيلة أفصح من تلك القبيلة ، ويكون واحد من تلك العدة أفصح من تلك العدة .... وهب أن بلاغ فصاحته طالت على العرب ، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجته عليهم "(١)

وقال ابن الراوندى عما حدث فى معركة بدر من نزول الملائكة " ان الملائكة الذين انزلهم الله تعالى فى يوم بدر لنصرة النبى صلى الله عليه وسلم - بزعمكم ، كانوا مغلولى الشوكة ، قليلى البطشة على كثرة عددهم ، واجتماع ايديهم وايدى المسلمين فلم يقدروا على أن يقتلوا زيادة عن سبعين رجلا " وقال بعد ذلك " أين كانت الملائكة فى يوم أحد لما توارى النبى (صلى الله عليه وسلم) ما بين القتلى نزعا . وما بالهم لم ينصروه فى ذلك المقام " .

ومن جملة تفنيد للنبوات قوله " أخبرونا عن الرسول كيف يفهم ما لا تفهمه الأمة فان قلتم انه الهام ، ففهم الأمة أيضا بالهام وان قلتم بتوقف فليس فى العقل توقيف "

---

(١) .. هذا طعن فى اعجاز القرآن

وقال ابن الراوندى على سبيل الهزء بالانبياء " انه يلزم من يقول بالنبوة أن ربهم أمر الرسول أن يعلمهم صوت العبدان ، والا فمن أين يعرف ان امعاء الشاة اذا جفت وعلقت على خشبة فضربت جاء فيها صوتا " (١).

هذه النصوص تبين طوية ابن الراوندى الالحادية .. وما أظهره فيها من مخالفة للاسلام فى معارضته للنبوات والرسالات السماوية ، وتصويره لتعاليم الاسلام واحكامه على انها تتعارض مع العقل . وانه يكتفى بالعقل لمعرفة الخير والشر وليس هناك مدعاة لارسال الرسل وانزال الكتب .

---

(١) .. النصوص مثبته فى كتاب الالحاد فى الاسلام
عبد الرحمن بدوى ص ٧٥ وما بعدها

٢ - أبو بكر الرازى

هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب المشهور ولد فى الرى من أعمال فارس جنوب طهران سنة ٢٤٠ ظهر فى منتصف القرن التاسع الميلادى واشتهر فى الطب والكيمياء والجمع بينهما وهو فى نظر المؤرخين أعظم أطباء القرون الوسطى كما يعتبروه غير واحد أنه أبو الطب العربى .

ولقد عرفه الخليفة العباسى " عضد الدولة " مقامه واراد أن يستغل مواهبه ونبوغه فاستشاره عند بناء " البيمارستان العضدى" فى بغداد فى الوضع الذى يجب أن يبنى فيه ، وقد اتبع الرازى فى تعيين المكان طريقة يتحدث بها الاطباء وهى محل اعجابهم وتقديرهم ، فوضع قطعا من اللحم فى انحاء مختلفة من بغداد ، ولاحظ سرعة التعفن ، وبذلك تحقق من المكان الصحى المناسب لبناء المستشفى .

ومن أخباره انه كان يضرب فى شبابه العود ويغنى فلما التحى وجهه قال : كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستظرف . فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوائرها الغاية ، واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم ، وألف فى الطب كتب كثيرة . توفى سنة ٣١١ (١)

(١) .. ابن خلكان - وفيات الاعيان جـ ص ١٥٨-١٥٩

وما يعنينا هنا أن نبين الجانب الالحادى فى فلسفة الرازى هذه ويتضح هذا الجانب الالحادى فى نظرية النبوة التى كانت الشاغل الاكبر لنقد الرازى للاديان - فالرازى كان لا يؤمن بالنبوة ، وكان نقده لها يقوم على أساس اعتبارات عقلية وأخرى تاريخية .

أما من الناحية العقلية فانه يجعل العقل وحده يكفى لمعرفة الخير والشر فلا مدعاة اذا لارسال أناس يختصون بهذا الأمر من جانب الله ، يتضح هذا الافتراض فى مدحه للعقل بقوله : " انما أعطانا الله العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما فى جوهر مثلنا بلوغه ونيله ، وانه أعظم نعم الله عندنا وانفع الاشياء لنا وأجداها علينا (١). وبالعقل أدركنا جميع ما ينفعنا ، نحسن ويطيب به عيشنا ونصل الى بغيتنا ومرادنا ، وبه أدركنا الامور الغامضة البعيدة منا والمستوردة عنا وبه وصلنا الى معرفة البارى عز وجل ، واذا كان هذا مقداره ، ومحله وجلالته فحقيق علينا أن لا نحطه عن رتبته ، ولا نجعله وهو الحاكم - محكوما عليه - بل نرجع الامور اليه ونعتبرها به . فنمضيها على امضائه ونوقفها على ايقافه " .

وبعد أن انكر الرازى النبوة على الاساس العقلى العام راح ينقد أركانها بطريقة مفصلة فقال فى مناظرته مع ابى حاتم الرازى حينما

---

(١) .. هذه النظرية عند ابن الروندى فى مجمل عرضنا لترجمته حيث تبين التشابه الكبير بينه وبين الرازى فى ابطال النبوة الا ان الرازى زاد على تأكيد يناقب العقل حتى يستقيل .

ناظره فى أمر النبوة " من أين أوجبتم أن الله اختص قوما بالنبوة دون قوم وفضلهم على الناس ، وجعلهم أدلة لهم ، وأحوج الناس اليهم ؟ ومن أين أجزتم فى حكمة الحكيم ان يختار لهم ذلك ويعلى بعضهم على بعض ويؤكد بينهم العداوات ويكثر المحاربات ويهلك بذلك الناس " (١) . ويقول الرازى مبينا اختلاف الانبياء - بزعمه - " والآن ننظر فى كلام القوم وتناقضه - يعنى بذلك كلام الانبياء عليهم السلام - وقال : زعم عيسى انه ابن الله ، وزعم موسى انه لا ابن له ، وزعم محمد انه مخلوق كسائر الخلق - ومانى وزراد شت خالفا موسى وعيسى ومحمد فى القديم ، وكون العالم - سبب الخير والشر ومانى خالف زراد شت فى الكونين - النور والظلمة - وعالمها ، ومحمد زعم ان المسيح لم يقتل ، واليهود والنصارى تنكر ذلك وتزعم انه قتل وصلب " واتخذ الرازى من هذا التناقض - بزعمه - بين الانبياء دليلا على بطلان النبوة ، لان النبوة فى اصلها تقوم على اساس الالهام والوحى من الله الواحد فما دام المصدر واحدا . فالواجب أن يتحد القول الصادر عنه - والا نسبنا التناقض والاضطراب الى الله نفسه . وهذا مستحيل على الله الحكيم ، فوجود التناقض بين الانبياء مع ادعائهم جميعا انهم انما يصدرون عن وحى الله الواحد - انما

---

(١) . . عبد الرحمن بدوى - الالحاد فى الاسلام ص ٢٠٥

يدل على انهم غير صادقين ، وان النبوة التى يقولون بها باطلة .

ومن هنا يمكن تلخيص الاسس التى بنى عليها الرازى ابطاله للنبوة على النحو :

١ـ العقل وحده يكفى لمعرفة الخير والشر والضار والنافع فى حياة الانسان ، وكاف وحده لمعرفة اسرار الالوهية ، كذا وحده كاف لتدبير أمر المعاش وطلب العلوم والصنائع فما الحاجة بعد الى قوم يختصون بهداية الناس الى هذا كله .

٢ـ لا معنى لتفضيل بعض الناس واختصاص الله اياهم بارشاد الناس جميعا ، اذ الكل يولدون وهم متساوون فى العقول والفطن والتفاوت ليس اذا فى المواهب الفطرية والاستعدادات ، وانما هو فى تنمية هذه المواهب وتوجيهها وتنشئتها .

٣ـ الانبياء متناقضون فيما بينهم . وما دام مصدرهم واحدا ، وهو الله فيما يقولون ، فانهم لا ينطقون عن الحق ، والنبوة بالتالى باطلة .

ثم يتابع الرازى نقده للاديان المنزلة كنتيجة لابطاله للنبوات وهذا النقد يدل على أن الحاد الرازى لم يكن باسم مذهب دينى معين ولم يكن متوجها الى الاسلام وحده ، فنراه بعد ان بين التناقض العام بين مختلف الاديان الرئيسية يتناولها واحدا واحدا .

فيقول عن اليهود " ان اليهود قالت ان موسى قال ان الله قديم غير مصنوع ولا مؤلف وانه لا تنفعه المنافع ولا تضره المضار " وفي التوراة " ان يوضع الشحم على النار لترويح شمة " في الاصل " ان يوضع الشحم على النار ليشم الريح منه الرب " فكيف نوفق بين هذين القولين المتضاربين ، القول بثبات الله وعدم تأثره بشيء ، والقول بأن الله يتأثر بالروائح ، كذا نجد في التوراة ما يناقض القول بأنه قديم غير مصنوع ولا مؤلف اذ (في التوراة أنه قديم الأيام في صورة شيخ أبيض الرأس واللحية) وهذا تشبيه وتجسيم مما يؤذن بأنه مؤلف مصنوع ، فكيف يتفق هذا مع ذلك " .

وعلى النحو عينه نقد المسيحية فقال " زعمت النصارى أن عيسى قديم مربوب ، وانه قال " جئت لاتمم التوراة " ثم نسخ شرائعها وبدل قوانينها واحكامها . وان النصارى زعمت أنه أب وابن روح القدس" فهو يأخذ على المسيحية أولا بقولها بوجود قديم غير مخلوق الى جانب الله . مما يؤدي الى الشرك ، ويأخذ على المسيح ثانيا أنه قال جاء لاتمام التوراة ، والواقع انه نسخ شرائعها وبدل أحكامها ، ويأخذ ثالثا عليها ان المسيح أو الله ثالوث مكون من أب وابن وروح القدس ، والتناقض ظاهر في المأخذ الثاني ، والخلف

واضح فى المأخذ الثالث والكفر بيّن فى المأخذ الاول .

ولم يكتفى بنقد الاديان من ناحية ما يراه فيها من مجادلات ومتناقضات ، انما يركذلك على اعتراض قد يوجهه الخصم اليه وهو اذا كانت الاديان على ما يقول من احالة وتناقض فكيف تفسر تعلق هذا الجمهور الاعظم من الناس بها ، وكيف نفسر انتشار الاديان بحيث لا نكاد نجد الا النادرين جدا هم الذين لم يعتنقوا دينا ما . وكيف نفسر قلة المتبعين للفلاسفة واصحاب المقالات العقلية ، فرد الرازى على هذا الاعتراض المتقوقع من الخصم بأن قال " ان أهل الشرائع اخذوا الدين عن رؤسائهم بالتقليد ودفعوا النظر والبحث عن الاصول ، وشددوا فيه ونهوا عنه . ورووا عن رؤسائهم اخبارا توجب عليهم ترك نظرية الاديان ، وتوجب الكفر على ما خالف الاخبار التى رووها ، من ذلك ما رووه عن اسلافهم ان : الجدل فى الدين والمراء فيه كفر ومن عرض دينه للقياس لم يزل الدهر فى التباس ، ولا تتفكروا فى الله وتفكروا فى خلقه والقدر سر الله فلا تخوضوا فيه ، واياكم والتعمق فان من كان قبلكم هلك بالتعمق " (١) .

ولم يقتصر الرازى على نقد الاديان بل وجه عناية خاصة الى

---

(١) . . عبد الرحمن بدوى - الالحاد فى الاسلام ص ٢١٢

الكتب المقدسة ، فقد حاول بيان فسادها وما فيها من تناقض.

فيأخذ على التوراة والقرآن والحديث النبوى ما فيها من تشبيه وتجسيم فيقول " ما فى التوراة من ظاهر ما رسمه موسى عليه السلام فى ذكر البساط والخوان ووضع الشحم والشرب على النار لشمه الرب ، وانه عتيق الايام فى صورة شيخ أبيض الرأس واللحية " وما ذكر عن رواة الحديث واعلام الامة . ونسبهم الى الجهل .. وذكرهم بالتشنيع لرواياتهم الاخبار التى ادعى فيها التناقض والتى تدل على التشبيه مثل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " رأيت ربى فى أحسن صوره ، ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد أناطله بين ثندوتى " وما فى القرأن من الآيات التى ظاهر ألفاظها يدل على التشبيه مثل قوله عز وجل " الرحمن على العرش استوى "(١) وقوله " يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " (٢) . وينتقل الى نقد القرأن فى مخالفته لليهود يه والنصارنية بقوله :

" ان القرآن يخالف ما عليه اليهود والنصارى من قتل المسيح عليه السلام . لأن اليهود والنصارى يقولون : ان المسيح قتل وصلب ، والقرآن ينطق بأنه لم يقتل ولم يصلب وان الله

---

(١) .. سورة طه أية ٤

(٢) .. سورة الحاقة أية ١٧

رفعه اليه ، وهو يريد أن يصل الى نتيجة هى أنها كاذبة لأن التناقض بين أمثالها يؤذن بكذبها جميعا ما دامت تدعى أنها تعود الى مصدر الهى واحد .

أما من ناحية نظم القرآن وتأليفه فانه يقول : " انكم تدعون ان المعجزة قائمة موجودة وهى القرآن - وتقولون " من انكر ذلك فليأت بمثله " ثم قال : ان اردتم بمثله فى الوجوه التى يتفاضل بها الكلام فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام الفصحاء والبلغاء والشعراء وما هو أطلق منه ألفاظا ، وأشد اختصارا فى المعانى ، وأبلغ أداءا وأشكل سجعا فان لم ترضوا بذلك فأنا طالبكم بالمثل الذى تطلبوه منا " .. ويرفع الكتب العلمية على القرآن فيقول " وأيم الله لو وجب أن يكون كتاب حجة لكانت كتب أصول الهندسة ، والمجسطى الذى يؤدى الى معرفة حركات الافلاك والكواكب ونحو كتب المنطق ، وكتب الطب الذى فيه علوم مصلحة للابدان أولى بالحجة مما لا يفيد نفعا ولا ضرا ولا يكشف مستورا يعنى به القرآن .

المبحث الثانى :

رد الداعية الاسماعيلى (أبو حاتم الرازى) على ابن الروانـدى وأبو بكر الرازى فى دفع النبوات :

رد الداعية الاسماعيلى على كل من ابن الروانـدى والـرازى لاتفاقهما فى دفع النبوات واعتمادهما على العقل بقوله (١) " انهما قطعا على قول لم يحررانه . وذلك أن العقل كامن فى الصورة البشرية كمون النار فى الزناد ، فلو بقى ما بقى فى مضماره عادما لمن يستخرجه ويستدرجه لم يقع انتفاع به كالنار الكامنة فى الحجر والحديد لا يستنفع بها ولا يحظى بطائل من خيرها ما عدمت الفادح . والذى يقع من العقل المكمون فى الصورة الآدمية موقع فادح الزند هم الانبياء صلى الله عليهم فهم أولى أن يسموا عقلاء لاستخلاصهم العقول من الصورة البشرية واخراجهم من حد القوة الى العقل ، وهم نعم الله سبحانه على خلقه والذين فيهم يصل العبد الى معرفة ربه . فليعكس المسألة يرى فيه خيرا كثيرا .

ثم يقول " معلوم أن البصر صنع الله سبحانه فى ظاهر الصورة يبصر به الانسان مبصرات الدنيا والعقل صنعه سبحانه

فى باطنها يبصر به الأمور المعقولة الغائبة عن الحس . تأملنا البصر اذا قام ليبصر لا ينهض بنفسه الا بحامل يحمله خارج عنه من ضوء شمس أو قمر أو نار ، واذا عدم الحامل من هذه الاصناف المذكورة لم يبصر شيئا وان كان فى غاية الصحة والقوة ، فوقوع الحكم من ذلك على أن العقل اذا نهض الى المعالم الخفية عن الحس احتاج كذلك الى حامل يحمله ونور خارج بازاء الشمس والقمر والنجوم والنار ، فالا يجد نفوذا فى اقطار سموات المعلومات وان كان العقل فى غاية الصحة والقوة ، فذلك النور الخارج الحامل للعقل والريش لسهمه والمنفذ له فى اقطار السموات والأرض هو النبى صلى الله عليه وسلم " ويتابع القول " معلوم أن الناس متفاوتون فى عقولهم تفاوتا عظيما ، فقوم تستأنس لهم من الانسانية صورتها قط ، وقوم سكان جبال ومواضع غامضة ورعاة بقر وغنم وهم اصلح حالا فى قربهم من سكة العقل . وقوم هم عامة البلدان وهم أقرب حالا ، وقوم خواص ، وقوم علماء وأخبار فلا يزال الشىء يخلص وينسبك حتى ينتهى الى الصفوة التى لا يشوبها الكدر وهم الانبياء عليهم السلام ، فهم يقبلون

على تابعيهم فى استخلاصهم من الكدر واحالتهم الى جوهر الصفا ، ويؤثرون فيهم تأثير الجمر فى الفحم الاسود المظلم باحالته الى جوهرة وافادته من نوره وتخليصه من سواده . وبعض هذا البلاغ جواب لمن انتهج مناهج الصواب دون من طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة .

ويتابع الرد على القول بأن الرسول قد اتى بما هو منافى للعقول بقوله : " ان الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله سبحانه لينشأ النشأة الآخرة ، كما أن الوالدين ينشآن أولادهما النشأة الاولى ، فنعتبر أحوال الوالدين وأفعالهما بمواليدهما وتحمل قضية الرسول عليه السلام عليهما ونزن بميزانهما وقد وجدنا الوالدين موضوعهما قطع الاولاد عن العادة البهيمية وكسبهما الاخلاق الانسانية ، استخلاصا للنطق منهما وهو ما يقع الفرقان به بين البهائم وبينهما . وافادة الحياء وحسن الشمائل التى لا قبل للبهائم بمثلها . ولو أنهم كفّوا عن رياضتهم هذه الرياضة لخرجو أشباه البقر والغنم ، نقول أن الانبياء صلوات الله عليهم يسلكون بتابعيهم الذين ينشأونهم النشأة الثانية للدار الآخرة مسلك الآباء والامهات بأولادهم ، فيخرقون عليهم العادات الطبيعية ويعلمونهم الاخلاق المكونية .

المبحث الثالث :

آثار الزندقة في المجتمع الاسلامي

للزندقة تأثيرات مختلفة على الدولة والمجتمع الاسلاميين ولعل ابرز هذه الآثار هو الاثر الديني الذي انبعثت عنه الآثار الأخرى من سياسة وأدبية وأخلاقية .

ومع أن قسما من الزنادقة وقفوا انفسهم على الدعوة الفارسية ومحاربة الاسلام والعربية فأخذوا ينفثون تعاليمهم على اشكال مختلفة متعددة طورا في الدين والعلم وطورا في الأدب ، وتارة باظهار عيوب الاسلام - بزعمهم - ومن حين لآخر كان يقبض على هؤلاء وينكل بهم الا أنه مع ذلك انتشرت كثير من آرائهم ونشطت حركاتهم سرا ولم يستطيعوا اظهارها أو اعلانها .

بالاضافة الى ذلك فاننا نجد أن أخطر فرق الزنادقة التي كانت لها الآثار الكبرى هي تلك الفرق التي كانت تتخذ من الاسلام ستارا لاستدراج العامة وابعادهم عن الاسلام .

ومن هنا كانت تأثيراتهم الدينية المختلفة التي كان لها كبير الأثر في افساد عقيدة كثير من الناس وسلوكهم .

وفي هذا المبحث سوف نعرض الآثار الدينية - والسياسية -

والأدبيـــــة :

الأثـــر الـديـنى :

دعـا الـزنـادقـة الـى اسـقـاط فـرائـض الاسـلام ، والـى ارتكاب المحـرمات والاغـراق فـى الـلـذات ، ودعـوا الـى اعتنـاق تعـاليـم مـانى ومـزدك ، والاعتقـاد بوجـود الـهـين اثنـين مـا أدى الـى انتشـــار الالحـاد والمجـون والخـلاعـة عنـد الخاصـة والعـامـة عـلى الســـواء ولعـل أخطـر فئـات الـزنـادقـة هـم الفئـة الـتى تظـاهـرت باعتنـاق الاسـلام لهـدمـه والكيـد لـه .

وأخطـر مـا أقـدم عليـه الـزنـادقـة فـى المجـال الـديـنى هـو وضـع الاحـاديث المكـذوبـة والمنسـوبـة الـى النـبى صلى الله عليـه وسـلم واسـنـدوهـا الـى الثقـات من الصحـابـة والتـابعـين مثـل مـا روى أن الاعـاجـم ذكـرت عن الرسـول صلى اللـه عليه وسـلم قولـه " لأنهـا بهـم أوشـق مـنى بـكـم " وكـذلك قولـه " لا تسـبـوا فـارسـيا فـمـا سـبه أحـد الا انتقـم اللـه منـه عـاجـلا أو آجـلا " ومـن هـذا القبيـل مـا وضـعـوه من الاحـاديث الكـثيرة حـول الامـام أبو حنيفـة الفـارسى الاصـل يزعـمـون أن الرسـول قـال : " لـو كـان العـلم معلقـا عنـد الثريـا لتناوله رجـل من فـارس " وزعـمـوا أن الرسـول عليـه السـلام قـال : " ان سـائر

الانبيـاء يفتخـرون بى ، وأنـا افتخـر بأبى حنيفـة ، فمن أحبـه فقـد أحـبنى ومن أغضـبه فقـد أغضـبنى " .

ومن أشـهر الـذين اسـرفوا فـى اختراع الأحـاديث ووضـع المكذوب فيهـا عبـد الكريم بن ابى العوجـاء الـذى اعترف باتصـالاته بالحسـن البصـرى ، ويقـول البغـدادى عنـه انـه كـان مانويـا يؤمن بالتناسـخ ويميـل الـى مذهـب الرافضـة ، ويتخـذ من شـرح سـيرتهم وسيلـة للدعـوة وتشـكيك النـاس فـى عقـائدهم (١) .

واسـتغـل الفرس سـلمان الفـارسـى استغلالا كبيـرا ، فـردوا لـه الزهـد والحكمـة والعـلم ما لـم يرد لأى صحـابى آخـر حتى جعلوا عمره فـوق أعمـار النـاس ، فقـالوا أنـه ادرك عيسـى عليـه السـلام ، ويقولون أن الرسـول قـال فيـه : سـلمان منـا أهـل البيت . ويفتخـرون بقبـول النـبى عليـه السـلام لمشـورة سـلمان بحفـر الخنـدق ، ولـم يكن العرب يعـرفـون حفـر الخنـدق خـلال الحـروب ولـذا أصبـح العـرب مدينيـن للفـرس (٢) .

ولـم تقتصـر يـد الـزنـادقـة عـلى العبث بالاحـاديث ووضعهـا . بـل امتـدت الـى الفقـه وكتبـه بدس الاحكـام الزائفـة التى تثير القلـق والبلبلـة ، والـتى تتنـاول معـاملات النـاس ، وكـذلك الـى اثـارة الجدل

---

(١) . . البغـدادى ـ الفرق بين الفرق صـ ٣٤٩

(٢) . . احمـد أمين ـ ضحى الاسلام جـ ١ صـ ٧٧

والمجادلات محاولين فتح الباب أمام النفوس الضعيفة لصرفهم عما هم عليه من الايمان والتقى المستمد من الكتاب والسنة وكتب الفقه الموثقة .

بل تجاوز ذلك الى مهاجمة الأديان السماوية جميعا مستهدفين النيل من الاسلام بطريق غير مباشر . باعتباره سر عظمة العرب ، ومنه يستمدون حصانتهم ، ولذا عمدوا الى انكار الوحى الذى نزل على الرسل ، بالقول بأن العقل الانسانى هو حلقة الاتصال بين العبد وربه . داعين الى هدم مكانة الانبياء ورسالتهم فى وقت واحد .

واستمروا فى اساءتهم للدين الاسلامى الحنيف الذى يحث على مكارم الاخلاق وينهى عن ارتكاب المحرمات وخاصة الخمر والميسر . لأنها تهدم كيان المجتمع ، بدعوتهم الناس الى الخمر والميسر ، وتزيين ذلك لهم . واباحتهم الفروج ، والسعى وراء الملذات ، وطبقوا فيما بينهم اشتراكية النساء ، قاصدين من وراء ذلك هدم اركان الدولة الاسلامية بيشهم دواعى الكفر والانحلال واسبابهما فى المجتمع الاسلامى .

وخلاصة القول أن حركات الزندقة اتفقت جميعا فى انها تهدد الدين الاسلامى بما دعت اليه من آراء تخالف تعاليم الاسلام

وتعارض قيمه الروحية ومثله العليا مما جعل الخلفاء والعلماء المسلمين يقفون من الزنادقة موقفا حازما للدفاع عن دينهم

الأثر الأدبي والعلمي :

نستطيع القول أن شعر الزنادقة لعب دورا كبيرا في تغذية الانحلال الخلقي وبث معاني الكفر والشك بين فئات الناس ، وذلك لما اشتمل عليه من الدعوة الى المجون ، والتحريض على شرب الخمر ، ودعوة الناس الى الاباحية والخلاعة والتعرض للدين والسخرية به ، والتهكم عليه .

حيث كان هذا الشعر مليئا بالتحريض على الانغماس والاغراق في شرب الخمر ، والدعوة الى المحرمات والملذات .

وكان للكتاب الزنادقة دور في العبث باخلاق الاسلام وقيمه والدعوة الى الخلاعة والمجون . حيث نادى الجميع بالحرية الاجتماعية وتعصبوا لنظم المجتمع الفارسي القديم وندد وا بالمثل الخلقية والقيم العربية الاسلامية . وذهبوا الى التحلل والمجون ودعوا الى افكار اجتماعية وخلقية تتعارض تماما مع مثل الاسلام العليا .

واستتر هؤلاء وراء ما سموه بالظرف والحضارة ، وهدفهم في الواقع تفكيك روابط المجتمع واضعاف كيانه الاجتماعي (١) .

---

(١) .. الاصفهاني : الاغاني جـ١٢ صـ١٩٦

فقد كون هؤلاء عصبة المجان ، وانتشرت أندية المجون واللهو ولم تكن هذه الاندية مستقرة وانما كانت متنقلة حيث اجتمعوا فى الدور والبساتين والحانات ، وبالاضافة الى هذا المجون واللهو لم تخلوا هذه من السخرية من أصول الديانات والاخلاق والنظم الاجتماعية التى تخطر عليهم . (١) .

ولا ننسى أن الزنادقة اتخذوا من الثقافة والفكر سلاحا ماضيا يشهرونه فى وجه العرب والمسلمون فقد اعتمدوا على طبقة من العلماء ، ووضعوا الكتب المليئة بالاباطيل والخرافات ، فى ثوب براق يستهوى الناس فى قراءتها ، دون أن يخرج منها المرء بحقيقة ثابتة ، وانما تثير خياله نحو مبادئهم الفاسدة ، فكانت هذه الكتب كما وصفها الجاحظ (١) " لا تفيد علما ولا حكمة وليس فيها مثل سائر ولا خبر ظريف ولا صفة أدب ولا حكمة غريبة ، ولا فلسفة ، ولا مسالة كلامية " .

ولم يكتف هؤلاء الزنادقة بوضع هذه الكتب الحافلة بالمفاسد بل عقدوا المجالس التى كان ظاهرها النشاط الفكرى ، وباطنها نشر تعاليم الزندقة ، حيث كانت مليئة بالمغالطات كالطعن فى القرآن ، والاساءة الى صحابة الرسول ، وعلماء المسلمين ومن

---

(١) .. ثلاث رسائل للجاحظ صـ ٤٢

جانب آخر الاشادة بحكم الفرس وأخلاقهم ، وصفاتهم ، وخلاصة القول : أن الزنادقة عمدوا الى مهاجمة العرب فى جميع النواحى ، فى اسلوب حياتهم وفى طعامهم ، وفى ملابسهم وفى فصاحتهم وخطبهم ، وفى أساليب قتالهم ، وفى أنسابهم وفى علاقتهم الاجتماعية ، وقيمهم الخلقية ، ومثلهم العليا .

وكان الشعر من أمضى الاسلحة التى اتخذها الزنادقة فى مهاجمة العرب والاسلام حيث عبروا عن تفاخرهم بالنسب الفارسى وبالامجاد القديمة ، وندد وا بالعرب عن طريق التهجم على العرب القدامى وما كان فى حياتهم من عادات واخلاق .

وعمد الزنادقة الى تزييف الادب العربى ، وخاصة الشعر . . . وأفسدوا اللغة والادب بما وصفوه من شعر ، ونسبوه الى الشعراء المتقدمين ، ولهذا نجد ان كثير من الرواة قالوا : لقد افسد حماد الراوية الشعر لانه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس فى شعر كل رجل ما يشاكل طريقته "

وهكذا كان الشعر وسيلة لابراز الزندقة ، ونشرها بين الناس.

ومن أجل ذلك وقفت الفتوحات الاسلامية تقريبا نظرا لانشغال الخلفاء والجيوش في اخماد هذه الثورات التي أشعلها هؤلاء الزنادقة .

وانصرف جهاد المسلمين الى اطفاء الفتن السياسية والفتن الدينية وأدى ذلك الى انقسام المسلمين الى ممالك ودول كما انقسموا من قبل الى مذاهب ونحل .

ومن ناحية أخرى فقد ذهب ضحية هذه الفرق الالحادية المنحرفة أعداد هائلة جدا من البشر ، كما كانت مصدرا يقظى المضاجع ويفسد الاستقرار ويشيع الفوضى والدمار .

الدين ، وقد أثرت هذه الافكار على ضعاف العقول من المسلمين في اعتناقها للاسلام فانحرفوا عن الدين وبعدوا عن تعاليمه .

٣- ان هؤلاء الزنادقة قد تركوا اثرا ملموسا في الدين فقد احدثوا معاني جديدة في تفسير لغة القرآن ، وساعدوا على نشر مبدأ التأويل ، واتخذوه وسيلة للطعن في كتاب الله ، كما أنهم تشطوا في وضع الاحاديث والدس فيها وانتشر بسببهم علم الكلام واشتد الجدل بينهم وبين العلماء والفقهاء فكانت حركة غزيرة من التأليف والمناظرات ووضعت المؤلفات الكثيرة للرد على أهل الزندقة والالحاد .

٤- ان هؤلاء الزنادقة صرفوا الخلفاء وولاة المسلمين الى محاربتهم والقضاء عليهم مما كان له اكبر الاثر في اضعاف الدولة الاسلامية لما فقدته من مال ورجال في مجاهدة هؤلاء الزنادقة ، فأبعدها ذلك عن المهمة الاساسية المنوطة بها وهي نشر الاسلام وتطبيق احكامه في كافة الانحاء ومختلف الازمان .

تابع : المصادر والمراجع

٨- دائرة المعارف الاسلامية - (مادة زنديق) الشعب القاهرة

٩- سميرة مختار الليثى - الزندقة والشعوبية (مكتبة الانجلوا المصرية ١٩٦٨م)

١٠- السيوطى (- (جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال - ٩١١ هـ)
تاريخ الخلفاء (القاهرة ١٢٥٧ هـ)

١١- الشهرستانى - (محمد بن ابى القاسم - ٤٤٨ هـ)
الملل والنحل (القاهرة - ١٣١٧ هـ - ١٣٢١ هـ)

١٢- الشاطبى - (ابراهيم بن موسى بن محمد أبو اسحاق - ٧٩٠ هـ)
القاهرة - مطبعة المنار (١٣٣١ هـ)

١٣- الطبرى - (محمد بن جرير - ٣١٠ هـ)
تاريخ الامم والملوك - القاهرة المطبعة الحسينية)

١٤- عبد الرحمن بدوى - الالحاد فى الاسلام (مكتبة النهضة القاهرة ١٩٤٥م)

١٥- الغزالى - (الامام ابوحامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد ١١١١م)
فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة (القاهرة
١٣١٩هـ - ١٩٠١ م)

١٦- ابن قتيبة - (ابو محمد محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦- ٨٨٩م)
عيون الاخبار (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٠م)

٣- تابع : المصادر والمراجع

١٧- ابن كثير - (عماد الدين ابوالفدا اسماعيل الدمشقي-٧٧٤هـ)
البداية والنهاية (مطبعة السعادة - القاهرة)

١٨- ابن النديم - (محمد بن اسحق - ١٣٨٥ هـ)
الفهرست (مصر - ١٣٤٨ هـ)

١٩- المصباح المنير - العلامة احمد بن محمد بن على المقرى الفيومى - ٧٧٠هـ
(المطبعة الاميرية - القاهرة ١٩٢٦م)

٢٠- القاموس المحيط - الفيروزبادى
القاهرة مطبعة دار المأمون ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م)

٢١- لسان العرب - (ابى الفضل جمال الدين محمد بن الامام جلال الدين
ابى المعز مكرم بن الشيخ نجيب الدين المعروف بابن
منظور الافريقى ٧١١)
" الطبعة الاولى - المطبعة الاميرية سنة ١٣٠١ هـ)